الطبقة العاملة
في المعركة ضد الاستعمار

فتحي كامل

أحمد فهيم

سيد عبد الوهاب ندا

نور سليمان

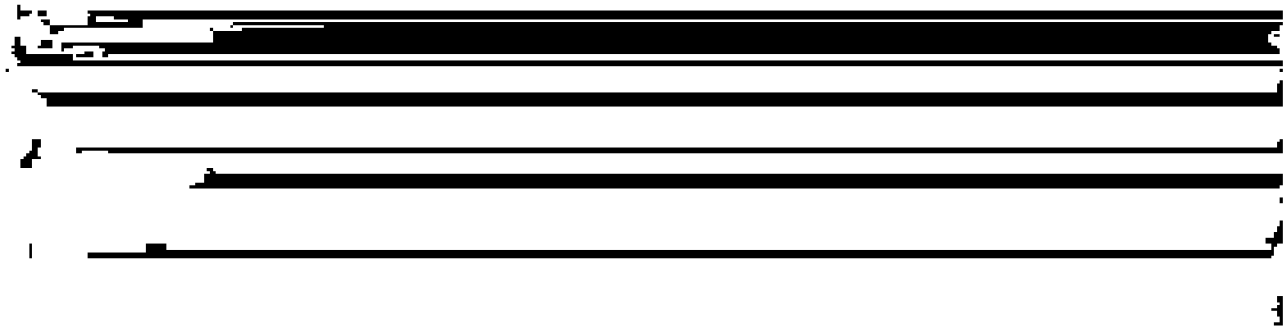

الإهداء

إلى الأبطال الذين استشهدوا فى معركة الشرف والكرامة إلى روح البطل شهيد الطبقة العاملة المصرية الحاج على شلبى الخولى رئيس نقابة سائقى اللنشات بميناء بور سعيد .

البطل الذى استشهد وهو يقاوم قوات الشر والعدوان دفاعاً عن مدينتنا الباسلة بور سعيد نهدى كتابنا إلى البطل الذى نظم وقاد حركة الإضراب ومقاطعة السفن الهولندية سنة ١٩٤٧ تضامناً مع الشعب الأندونيسى المناضل.

إلى البطل الذى كان عضواً بارزاً فى الهيئة التنفيذية لمقاطعة السفن التى تحمل أعلاما فرنسية تضامناً مع الشعب العربى فى الجزائر المناضلة .

إلى البطل الذى كان أحد رؤساء لجان المقاومة الشعبية ببور سعيد حيث خاض المعركة هو وشقيقه جنباً إلى جنب . واستشهدا وهما يدافعان عن مدينتهم الباسلة بور سعيد .

وإلى البطل ... النقابى الذى حقق لعمال نقابته الكثير من المطالب ...

إليه باسم كل عمال مصر : . . نهديه كتابنا . . . .

مقدمة

العمال .. فى المعركة من أجل الدفاع عن إستقلال بلادنا وسيادتها .. فى المعركة من أجل الدفاع عن حقنا المشروع فى تأميم القناة ، وتصنيع بلادنا واستغلال ثروتنا القومية لصالح شعبنا . . . فى المعركة من أجل هزيمة المعتدين وردهم على أعقابهم لنبنى ماهدمته قنابلهم ولنقيم صناعة وطنية قوية ، ولنستثمر أرضنا وقناتنا وبترولنا وكل ثرواتنا .

لقد أفلس ساسة الاستعمار وخانهم المنطق وتخلى عنهم الشرف كعادتهم دائماً ، ولم يسعفهم الكذب والخداع والتزييف . فلجأوا إلى تدبير المؤامرات وضربوا عرض الحائط بمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة ، وخرقوا القوانين والمواثيق الدولية ، وشنوا حربهم العدوانية على مصر متحدين بذلك إرادة شعوبهم وشعوب كل العالم المحبة للسلام ، وظن المستعمرون أن أساطيلهم وحشودهم وطائراتهم تستطيع أن تخرس صوت التحرير والتأميم والاستقلال الوطنى فى بلادنا ، ولكن ، ما أن بدأ العدوان حتى هبت مصر فى وحدة وطنية رائعة ، شعباً وجيشا وحكومة تقاتل حشود العدوان ، فزأرت المدافع ، وهوت طائرات العدو تتساقط كالذباب ، وأغرقت قطع ضخمة من الأسطول البريطانى الفرنسى ، وشدد العدو من ضرباته فألقى القنابل على القاهرة والاسكندرية ومدن القنال وعلى القرى والسكان المدنيين . فما زاد ذلك الشعب إلا تصميما وحماسة للقتال لطرد المستعمرين الغزاة ، وتوجت المعركة بأروع

ماعرفته الشعوب من معارك التحرير ، . . معركة بور سعيد الخالدة ، معركة قاوم فيها الشعب كله ، المقاومة الشعبية مع القوات النظامية مقاومة بطولية ، وبرزت المقاومة الشعبية فى أجل معانيها فى هذه المعركة .

لقد استنكرت كل بلاد العالم شعوبا وحكومات العدوان الانجليزى الفرنسى الإسرائيلى على مصر ولم تستطع حليفتهم أمريكا أن تحتفظ بمظهر الوحدة الغربية للنهاية أمام هذا العدوان الغادر على مصر ، وطالبت بوقف إطلاق النار .

إن مجرمى الحرب إيدن وموليه وعميلهم بن جوريون يخدمون مصالح الاحتكارات الاستعماريه ، يسوقون اليوم شعوبهم إلى مجزرة عالمية رهيبة من أجل مصالح حفنة من تجار الأسلحة مصاصى الدماء أعـــداء الشعوب ، إن عدوانهم على بلادنا لم يجلب لهم الهزيمة والعار ولشعوبهم الفقر ولصناعتهم البوار فحسب . . . بل جلبوا لحلفائهم بعضا مما أصابهم . . . فالبترول أصبح مشكلة أوروبا كلها ، ولقد اضطرب إقتصاد أوروبا الغربية بسبب إغراقهم السفن فى القناة وتعطيلهم الملاحة فيها .

ويقف فى المعركة ضد العدوان الاستعمارى على بلادنا الشعب والجيش والبوليس وجيش التحرير الوطنى صفا واحداً ويداً واحدة قوية فى ميدان القتال ، وفى ميدان الانتاج وفى كل الميادين . .

ويلعب العمال دوراً هاما فى النضال ضد الغزو الاستعمارى ، ونحن حينما نتكلم عن الحرب التحريرية ضد العدوان الاستعمارى ، نجد من الصعوبة التحدث عن العمال ودورهم فى المعركة بشكل منفصل ، لأن المعركة

معركة الشعب كله عمال ، وفلاحين ، وجنود ، وضباط ، وطلبة ، وتجار وموظفين ، وكل فئات الشعب المصرى .

كما كانت المعركة معركة عربية حقيقية برز فيها التضامن العربى بشكل فعال ، فقد أكد العدوان الاستعمارى على مصر ضرورة التضامن والوحدة العربية ، ووضع الكفاح المشترك فى مقدمة الواجبات العربية إنه كفاح الشعوب العربية المشترك ضد العدوان المشترك .. الاستعمار .. الذى أذاقهم مر الحياة ، واستنفذ طاقاتهم وثرواتهم عشرات ومئات السنين . كما كانت المعركة معركة عالمية ، ظهر فيها التضامن الدولى ضد عدوان الاستعماريين على مصر ، إذ وقف بجانب حكومتنا وشعبنا ، شعوب وحكومات صديقة ، ونددت بالعدوان الاستعمارى وقدمت لنا المساعدات الفعالة لوقف العدوان ، وقد لبى نداء الواجب ألوف وألوف من المتطوعين ، مستعدين بأسلحتهم للدفاع عن وطننا واستقلالنا .

كانت ومازالت المعركة شاملة ، إلا أن العمال كان دورهم رائعا وبطولتهم نادرة ، ومما لاشك فيه أن العمال بصفة عامة ، وعمال مصر بصفة خاصة . كان عليهم — وما زال — واجبات يؤدونها بعزة وفخار لوقف العدوان الاستعمارى وانزال الهزيمة بالمستعمرين . لقد أقسموا أن يحافظوا على ماصنعت أيديهم وما بذلوا فيه من عرق ودم . لقد أقسموا أن يحموا الأرض التى مات فيها أجدادهم وهم يحفرون القناة . لقد أقسموا أن يحموا حياتهم وحياة أبنائهم وحياة كل الشعب المصرى . لقد أقسموا أن يصلوا العدو ناراً لاتنطفىء . وبر العمال بقسمهم ، وفى الوقت الذى كانت تدور فيه المعارك فى أرض بورسعيد الخالدة وصحراء سيناء وفى

غزة وتدك الطائرات بقية بلاد القطر، وفى نفس الوقت الذى كانت فيه أركان حرب القوات المسلحة تشرف على العمليات الحربية فى الميدان وفى الدفاع عن المدن كانت هناك هيئات أركان حرب الطبقة العاملة ، حيث الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ، والاتحادات والنقابات العمالية المصرية ، إن الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب قد رسم خطة الاشتراك فى الحرب التحريرية ضد المستعمرين ، لا فى مصر وحدها ، بل فى كل البلاد العربية، وقد قام العمال بواجبهم على خير وجه، وأشعلوا النار فى جسد الاستعماريين حين أطلقت مدافعهم أولى طلقاتها على شعب مصر العزيز .

ولا زالت الطبقة العاملة توالى ضرباتها للعدو فى كل مكان على وجه الأرض ، حتى أجبرته على قبول وقف إطلاق النار . لقد انتصرنا فى الجولة الأولى ، ونوالى إستعدادنا لننتصر فى الجولة الثانية . ثم الثالثة ، ثم الرابعة والجولات الأخيرة حتى نحقق النصر النهائى لشعبنا وكل الشعوب المتطلعة للحرية والسلام .

إن الطبقة العاملة تلعب اليوم أخطر دور فى هزيمة الاستعمار ، ولكنه من الصعب توضيح دور العمال منفصلا عن دور الشعب والجيش والبوليس وعن دور الشعوب والحكومات العربية ، وكذلك عن الدور الهام الذى لعبته شعوب وحكومات الدول الصديقة التى هيأت لنا ظروف الانتصار على الغزاة الاستعماريين .

* * *

الفصل الاول

الأسباب الحقيقية للعدوان على مصر

تذرع الاستعماريون بحجج مختلفة لتبرير غزوهم المسلح للأراضى المصرية ، فملأوا الدنيا صياحا بالأكاذيب والافتراءات محاولين إخفاء الحقائق التى تفضح أهدافهم ، وتدين سياستهم العدوانية .

فتارة يقولون أن الشرق الأوسط فى خطر ، ولابد من التدخل لإقرار السلام بين العرب وإسرائيل القاعـــدة الاستعمارية التى تهدد إستقلال وسيادة البلاد العربية .

وتارة أخرى يقولون أن تأميم القناة ليس من حق مصر ، ولابد من تدويلها ، ويتطلب هذا تدخلا مسلحا لفرض هذا التدويل .

وتذرعوا بحجج كثيرة ، تؤدى جميعها إلى تبرير العدوان المسلح والغزو العسكرى للأراضى المصرية .

فهل هذه هى الأسباب الحقيقية للعدوان الاستعمارى على مصر ؟ ؟

نحن نقول أن الأسباب أعمق من هذا .

أن الأسباب الحقيقية تكمن فيما أصاب الاستعمار ومصالحه من هزائم وتقلص على يد الشعوب التى تحررت وانتزعت استقلالها وسيادتها القومية من بين أنيابه .

إن الأسباب الحقيقة تكمن فى الرغبة المسعورة للاستعمار فى الاحتفاظ بالبقية الباقية من مراكزه فى الشرق الأوسط .

إن الأسباب الحقيقية تكمن فى المكاسب التى حققتها الشعوب فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية .

فى هذه الفترة التاريخية :

فازت الهند وبورما إثر الحرب العالمية الثانية باستقلالها . وقامت جمهورية الصين الشعبية ، وبذا فقد الاستعمار الانجليزى مراكزه فى الشرق الأقصى ، وانهار أهم ركن لهذا الاستعمار .

لذلك رأى الاستعمار الانجليزى أن يعوض خسارته ، فقرر أن يتخذ منطقة الشرق الأوسط الممتدة من جنوب النيل إلى الشواطىء الجنوبية للقوقاز ، منطقة يسكنها ثمانون مليون عربى وإيرانى وله نفوذ فيها . . . فلماذا لايدعم هذا النفوذ ليعوض خسارته ؟؟

حقا إن منطقة الشرق الأوسط لايمكن أن تعوض الخسارة التى أصابت الاستعمار البريطانى بفقدانه للسوق الهندى ، ولكن هذه المنطقة غنية بالبترول . . . إن ثلثى إحتياطى البترول فى العالم الرأسمالى (قرابة ١٧ مليون ألف طن) موجودة فى هذه المنطقة ، إن نصف صادرات البترول فى العالم الرأسمالى تأتى من هذه المنطقة ، إن ربع إنتاج البترول فى العالم الرأسمالى تقوم بإنتاجه هذه المنطقة ، إن انجلترا وأوربا الغربية تعتمد فى ٨٠ ٪ من بترولها الخام على صادرات الشرق الأوسط من

البترول ، فالبترول ، هو القوة المحركة للقوات المسلحة البريطانية وللصناعات الرئيسية .

كان من الممكن لانجلترا وغيرها الحصول على البترول من الشرق الأوسط ببساطة وسهولة ، فى شكل صفقات تجارية ، ولكن الاستعمار لايرى الحصول على البترول فحسب . أنه يرمى إلى أكثر من هذا ، إلى الاستيلاء على هذا البترول لتحقيق أرباح ضخمة لشركاته الاحتكارية أرباح لم يحلم بها أحد من قبل . أن الشرق الأوسط ينتج فى اليوم الواحد من البترول ٣٨٩ ضعف ماتنتجه الولايات المتحدة . . . إن الأيدى العاملة رخيصة رخصا لايتصوره أحد ، إن تكاليف إنتاج البترول فى الشرق الأوسط لاتزيد عن واحد على عشرة من ثمن بيعه . فتصور كم يكون الربح المفزع للشركات الاحتكارية البريطانية .

من هذا ، ومن هنا ، تصور الاحتكاريون البريطانيون أن الاستيلاء على هذا البترول سيكون تعويضا واضحا عن خسارتهم فى الهند .

إن الاستعمار ، قد خسر الهند وبورما ، وقد خسر بذلك المورد الرئيسى للرجال الذين كان يستخدمهم فى الجيش الاستعمارى البريطانى ، ومن ثم ، كان يبحث الاستعمار عن شىء يملأ به هذه الثغرة ، ليستخدم رجال الشرق الأوسط ، رجال العرب ، وإيران ، وقودا للحرب التى يعدها ضد الشعوب والدول الأخرى .

ولهذا ، وضع الاستعمار خطته للسيطرة على الشرق الأوسط لتركيز سيطرته فى هذه المنطقة . وبدأ يمزج مابين البترول والسيطرة العسكرية ، فيضع الفيلد مارشال ألن بروك الرئيس السابق لهيئة أركان حرب

الأمبراطورية رئيسا لشركة الزيت الأنجلو إيرانية ، ثم عين الأميرال كاننجهام القائد السابق لأسطول البحر الأبيض فى مجلس إدارة شركة البترول العراقية ، ووضع فى إدارة قناة السويس لورد هانكى السكرتير السابق للجنة الدفاع الأمبراطورى وسير الكسندر كادوجان الوكيل السابق لوزارة الخارجية البريطانية والسير فرنسيس ويلى الشخصية البارزة فى قلم المخابرات الهندية الانجليزية .

وبدأت المحاولة الأولى لتثبيت أقدام الأمبراطورية البريطانية فى الشرق الأوسط ، وتجلت فيما أسموه مشروع سوريا الكبرى ، وكان الظن أنه لو نجح هذا المشروع ، فهو يستعمل كنقطة وثوب وضغط على السعودية العربية واليمن وتركيا . ويقوى السيطرة الانجليزية على مصر .

ولكن ، العرب اليوم ليسوا بعرب القرن التاسع عشر ، لقد اجتاحت العرب ثورة وطنية تريد أن تستقل ، تريد أن تدير سياستنا من القاهرة ودمشق والرياض وبيروت وعمان ، لامن لندن ولا من واشنطن . ورفض العرب بفضل الوعى العربى المتقدم ، بفضل قوة الشعوب ، بفضل العناصر الوطنية ـ مشروع سوريا الكبرى ـ .

بل أكثر من ذلك ، هبت مصر ثائرة ، وبفضل قيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، استطاعت أن ترغم الاستعمار على الجلاء عن مصر ، التى قال عنها الفيلد مارشال سلم أنها مفتاح الشرق الاوسط ، واستطاعت سوريا أن تقضى على المؤامرات الاستعمارية وأن تفوز بحكومة وطنية .

فاذا يفكر الاستعمار أن يصنعه . . . ؟

فليغير الأسم . . . ليغير أسم مشروع سوريا الكبرى ، الذى

أصبح بغيضاً للشعوب ، وليستبدله باسم آخر له نفس المضمون ، وليكن الأسم الجديد هو « حلف بغداد » . . . حلف تابع لحلف الاطلنطى ، حلف قائم على امبراطورية زيت البترول وقواد عسكريين بريطانيين ، وسجن استعمارى لعشرات الملايين من العرب والايرانيين . وكان الهدف من الحلف ، أن يشمل كافة البلاد الممتدة مابين البحر الاحمر وبحر قزوين ، ويشمل مصر ولبنان وسوريا والسعودية العربية والسودان ، فضلا عن العراق وتركيا وإيران وباكستان . . . فى ضربة واحدة .

ظن الأستعمار أنه يحقق مشروعه . . ولكن قامت مصر بزعامة عبد الناصر تقول لا .

بل وجهت مصر بقيادة عبد الناصر ضربة أليمة للمشروع الاستعمارى ، بأن جمعت الشعوب والدول العربية فيما عدا « العراق » كتلة موحدة ضد حلف بغداد . بل وجهت مصر ضربة قاسية لكافة المشاريع الاستعمارية بتأميمها للقنال .

إذن ، لم يكن هناك مفر فى وجهة نظر الاستعمار من ضرب مصر . . لاحتلالها بالقوة الغاشمة حتى لانهار كافة مشاريعه انهيارا تاما .

هذا فى مجال الشرق الاوسط عامة .

أما فى مصر ، فقد حدثت تطورات على جانب كبير من الأهمية فى حياة شعبنا ، والشعوب العربية عموما .

لقد تحددت أسس ونوع العلاقات التى بيننا وبين دول الاستعمار بشكل خاص ، ودول العالم بشكل عام ، على أساس من الإحترام المتبادل والاستقلال وسيادة الشعوب ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية

للدول الأخرى. وغيرها من الاسس التى أقرها مؤتمر باندونج .

كانت هذه التطورات حدا فاصلا بين عصرين ، مصر العبودية والاستعمار ، وعصر النهضة والحرية والاستقلال .

بدأت هذه التطورات الهامة فى حياة شعبنا بالتخلص من اذناب الاستعمار ، فاصدرت الحكومة الوطنية قانون الاصلاح الزراعى فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، وحددت الملكية بمائتى فدان كحد اقصى للملكية الأرض ، وقوضت بذلك السلطان الاقتصادى لكبار الملاك ، ثم طردت الباشوات والباكوات من الحكم ، وأعلنت الجمهورية ، وقضت على النظام الملكى وبذلك قوض السلطان السياسى لكبار الملاك الاقطاعيين ، ولم تكن هذه الضربة موجهة للاقطاع المحلى فحسب ، ولكنها كانت موجهة أيضا ضد الاستعمار ، فالاقطاع كان السند الرئيسى للاستعمار وحكومات الاقطاع وعلى رأسها اسماعيل وتوفيق وفؤاد وفاروق ، كانت هى التى مهدت للاحتلال البريطانى المشئوم ، وهى التى سندته طوال أيام حكمها . . . وقلق الاستعمار . . . ولكنه انتظر .

ووجهت الحكومة الوطنية ضربتها للاحتكار ، فصرت البنك الاهلى ، وأصدرت التشريعات التى تنتزع السلطان من مجالس إدارات الشركات من كبار الباشوات والبكوات .

ولم تكن الضربة موجهة للاحتكار فحسب ، ولكنها كانت ضربة موجهة أيضا للاستعمار .

فالاحتكار فى مصر كان أساسا احتكارا أجنبيا ، ينفذ مصالح الاستعمار لا مصالح مصر ، والباشوات والبكوات فى مصر من أعضاء

مجالس إدارة الشركات ومن كبار الماليين ، كانوا سندا للاستعمار . . . أخذ الإستعمار يتنمر

لقد فقد عملائه . . لقد فقد سنده . . لقد فقد رجاله فى الجيش والحكومة والاقتصاد .

وبدأت حكومة الرئيس جمال عبد الناصر ، وقد قوضت صرح الاقطاع وصرح الاحتكار ، تشمر عن ساعديها لاتباع سياسة واضحة ، سياسة استقلال وطنى ، سياسة سلام عالمى .

موقف مصر من حلف بغداد :

وجاء حلف بغداد ، وأغريت مصر على قبول الانضمام اليه ، وقال الرئيس جمال عبد الناصر كلمته المشهورة . أن هذا الحلف ليس إلا سجنا كبيرا صنعه الاستعمار بما يوافق الاشكال التى يتشكل بها طبقا لمقتضيات الزمن » ، كانت سجون الاستعمار أول الامر مناطق نفوذ تحكمها قوات الاحتلال ، ثم تطورت سجون الاستعمار إلى معاهدات تحالف ، وكان الشكل الأخير لسجون الاستعمار هو تلك المواثيق التى يعقدها أعوانه ويتفانون فى حبك سلاسلها وأغلالها حول أعناق شعوبهم ، إن الميثاق الجديد ليس الا سجنا كبيرا ، ولم يستطع الوعد ، وكذلك لم يستطع الوعيد أن يدفع العرب إلى داخل أسوار السجن » .

ولم تكتف مصر بمعارضة حلف بغداد وأن ترفض الانضمام اليه ، بل قادت البلاد العربية كلها فى الحملة من أجل تحطيم هذا الحلف وتجميده .

وأشتد غضب الاستعمار . . . وأصبح يتربص بمصر وبقائد نهضتها الوطنية .

موقف مصر من مؤتمر باندونج :

واجتمع مؤتمر باندونج من تسعة وعشرون دولة أسيوية وافريقية ، ووقف الرئيس جمال عبد الناصر يخطب فى المؤتمر محددا سياسة مصر الخارجية فى صراحة وبساطة : —

١ — وقوفنا موقف المدافع عن حرية ورفاهية الشعوب ، وتأييد مبدأ تقرير المصير لكافة الشعوب ومبدأ أن لكل دولة الحق فى أن تختار ما تراه صالحا لها من النظم السياسية والاقتصادية .

٢ — توسيع نطاق التعاون بين دول الكتلة الآسيوية الأفريقية .

٣ — تصفية الاستعمار الذى طالما كان سببا فى الاحتكاك بين الدول .

٤ — وجوب توقف ألاعيب الضغط السياسى التى تعمل الدول الكبيرة بموجبه على استخدام الدول الصغيرة كأداة لتحقيق أغراضها فورا ووجوب احترام الاستقلال السياسى لكل دولة ، ومنع التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى .

وكان لدور مصر ، ودور الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر باندونج بجانب نهرو وشوان لاى أثره فى وصول المؤتمر إلى قراراته التاريخية التى ابرزت الدول والشعوب الآسيوية الأفريقية كقوة سياسية كبرى لها كلمتها المحترمة فى المحيط الدولى ، والتى كان من شأنها اجبار الدول الكبرى على تخفيف الحرب الباردة ، والوصول إلى نوع من الاتفاق فى جنيف .

وأشتد حنق الاستعمار . . . على مصر . . . وسياستها ، وحكومتها الوطنية التى تفسد خططه الاستعمارية . . .

حماية استقلالنا بتسليح الجيش

وأخذ الاستعمار يدفع بعميلته اسرائيل للتحرش بمصر فى غزة ، والتحرش بمصر فى غير غزة كوسيلة من وسائل الضغط ، وشعرت مصر وحكومتها بالخطر ، فأخذت تعد جيشها ، فطلبت الأسلحة من الدول الغربية ، وصرح رئيس الحكومة بأن مصر تطلب السلاح وعلى استعداد لدفع الثمن ، فرفضوا ... الا إذا وافقت مصر على ميثاق الأمن المتبادل، ومعنى هـــذا ، أن تأتى بعثة عسكرية امريكية تشرف على الجيش المصرى . . . ورفضت مصر توقيع ميثاق الأمن المتبادل . . .

وأقبلت الحكومة المصرية ، فعقدت صفقة الأسلحة التشيكية ، وسلحت جيشها بأحدث أنواع الدبابات والطائرات والبنادق والمصفحات بأنواعها . . . وفزع الاستعمار ، وانطلق ، يهـــدد ويتوعد وينذر بالويل والثبور . . .

إن الجيش المصرى الوطنى المسلح بأحدث أنواع الاسلحة خطر ماحق على المشروعات العدوانية والاستعمارية ، وتدعيم لاستقلال مصر السياسى ، بل وتدعيم لاستقلال الشعوب العربية كلها ، لأنها تستطيع أن تعتمد على قوة مصر ومعونتها .

سياسة مصر الإقتصادية

واتجهت الحكومة المصرية فى سرعة هائلة إلى التصنيع ، وإلى انشاء صناعات ثقيلة .. صناعة الصلب والحديد .. صناعة المواد الكيمائية .. صناعة الكهرباء . . .

ورأى الاستعمار فى هذا خطرا بالغا على سوقه . . إن مصر فى الغد تستطيع أن تستغنى عن استيراد السلع من البلاد الاستعمارية التى تكلفها ثمنا باهظا ، ولكى تحطم القيود الاقتصادية المفروضة على تجارتها الخارجية رأت أن تبيع قطنها إلى الدول المختلفة ، وأن تشترى ما تحتاج اليه مادامت بضاعة جيدة وبالثمن المعقول . فعقدت الاتفاقات التجارية مع الاتحاد السوفييتى ، ودول أوروبا الشرقية ، والصين الشعبية ، والدول الآسيوية الافريقية . . .

وأدرك الاستعمار أن فى ذلك كل الخطر . . . إن مصر . . . تدعم استقلالها السياسى واستقلالها الاقتصادى .. إن مصالح الاستعمار فى خطر ، وتجارته مهددة بالبوار . . . إذن . . . لابد له من القضاء على استقلال مصر ، قبل أن يستفحل الأمر . . .

تمويل السد العالى

وبدأت قصة السد العالى ، وتمويل السد العالى . . . وكشف البنك الدولى الذى يسيطر عليه الاستعمار عن وجهه ، فاذا به يضع شروطا معناها كما أوضح الرئيس جمال عبد الناصر حينئذ بالدقة . . « أن يرسل البنك من يجلس مكان وزير المالية ، وآخر يجلس مكان وزير التجارة ، وثالث يجلس مكانى أنا » ورفضت مصر هذه الشروط ، وأصرت أن تكون مستقلة . . . مستقلة سياسيا . . . مستقلة اقتصاديا . .

فكان أن جاء رد أمريكا وانجلترا والبنك الدولى ، برفض تمويل السد العالى ، وحاول التشكيك فى سلامة الاقتصاد المصرى ومحاولين القاء بذور الوقيعة بين الحكومة والشعب . .

تأميم القنـاة

وكان لابد من رد سريع من جانب مصر . . رد قاطع . . حاسم وأعلنت مصر تأميم القناة . . قناتنا التى تجرى فى أرضنا . . والتى حفرناها بأيدينا ، ومات من أجدادنا مائة وعشرين ألفا فى سبيل حفرها . . وقد أنفقنا عليها من مالنا حتى سببت لنا الخراب والافلاس على يد من كانوا يحكمون مصر . . أما أرباحها ، فكانت تذهب إلى جيوب الاحتكاريين الفرنسيين والاحتكاريين الإنجليز وكانت صيحة مصر لرد القناة عملا حتميا حتى تتمكن من تمويل السد العالى . . ولم يكن تأميم القناة ضربة لشركة احتكارية استعمارية أجنبية فحسب ، وإنما كان ضربة لمركز استراتيجى استعمارى خطير كان يستغله المستعمر الغاشم وقت السلم ، مستخدما أرباحه فى محاربة الحركات التحريرية كما كان يستغله وقت الحرب ضد الدول التى يحاربها . . .

الجبهة العربية

استطاعت مصر أن تحقق مالم يتحقق فى عشرات السنين من الكفاح المتواصل . . لقد تمكنت مصر من أن تحقق الجبهة العربية بين الدول على اختلاف نظمها السياسية والاجتماعية . . ضد العدوان المشترك . . ضد الاستعمار والصهيونية . . فعقدت حلفا ثنائيا ، وقيادة مشتركة مع السعودية . . كما عقدت حلفا ثنائيا وقيادة مشتركة مع سوريا . . كذلك مع الاردن . . وظهرت الجبهة العربية متضامنة متحدة عندما أعلن الاضراب العام . الذى امتد من المحيط الاطلسى إلى الخليج العربى وقت انعقاد

مؤتمر القراصنة فى لندن فى ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ لتدويل القناة . . وظهرت الجبهة العربية رائعة قوية ، عندما أعلن الاضراب العام احتجاجا على اختطاف زعماء الجزائر يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ . .

واشتد حنق الاستعمار وغضبه . وفقد أعصابه وهو يرى الأردن تتحدى تمبلر رئيس هيئة أركان الحرب البريطانية ، وتطرد جلوب ، وتسقط وزارة خائنة ، وترفض بإصرار حلف بغداد . ودفع قواته العدوانية فى مجازفة حمقاء للقضاء على هذا الخطر الماحق الذى يهدد نفوذه تماما ويقضى على جذوره فى منطقة الشرق الأوسط بأكملها . . فكان تصميمه على الغدر . . وكان تصميمه على العدوان . .

إن تأميم القناة ، كسب لقضية السلام العالمى . . . فالقناة المستقلة ، فى يد مصر المستقلة ، لن تستخدم لصالح حفنة من الدول الاستعمارية . . وتأميم القناة ، تتويج لسياسة مصر . . . سياسة الاستقلال . . . سياسة السلام . . .

إن الاستعمار فى الشرق العربى بأسره فى خطر ماحق . . . وتأميم القناة هو تشجيع لسوريا وإيران والسعودية ولبنان والأردن والعراق وليبيا على تأميم الشركات الاحتكارية الأجنبية القائمة بها . . . لذلك ، كانت غضبته . . وكانت مجازفته الحمقاء . .

أين تكون الضربة :

ولكن ، أين تكون الضربة ؟ . . حاول الاستعمار فى أول الأمر التحرش بالأردن . . فوجد مصر ترسل إلى الأردن الطائرات والأسلحة

والعون من كل لون . . وسوريا . . ؟ إن مصر ، سوف تهب عن بكرة أبيها ، بكامل قوتها لنصرة سوريا ومعونتها . . إذن . . لمن يوجه ضربته ؟

لابد من توجيهها إلى مصر . . إلى قلب الشرق العربى الناهض . . إلى زعيمة الكفاح التحريرى . . إلى الرئيس جمال عبد الناصر قائد النهضة الوطنية العربية الكبرى .

هذه هى الأسباب الحقيقية للعدوان الاستعمارى . .

إن مصر ، مصممة على إستقلالها السياسى . . إن مصر ، مصممة على إستقلالها الإقتصادى وبناء صناعتها الوطنية . . إن مصر ، مصممة على مساندة كل حركة تحريرية فى الشرق العربى . . إن مصر ، تأبى كل الأحلاف العسكرية العدوانية وتحاربها فى قوة . . إن مصر ، مصممة على سياسة السلام العالمى . . وكل هذا ، من وجهة نظر الاستعمار ، جرائم لاتغتفر ، فكان لابد من القضاء على مصر المستقلة الوطنية ، على الدول العربية بأسرها ، حتى يبسط عليها الاستعمار قبضة من حديد . . حتى تنهار ثورة الجزائر . . حتى تخضع تونس ومراكش . . حتى تذل الدول والشعوب الراغبة فى الحرية ، المتطلعة إلى الاستقلال والعزة والكرامة . .

وهكذا ، كانت البواعث الحقيقية للعدوان الاستعمارى على مصر .

* * *

خطة العدوان العسكرى على مصر

دبر الاستعمار خطة العدوان المسلح على مصر منذ اللحظة الأولى لتأميم شركة قناة السويس .

ولقد كانت الخطة مبيتة لاستخدام إسرائيل ، فقد جاء فى جريدة الديلى اسكتش الانجليزية فى ١٢ سبتمبر بالحرف الواحد : لو ضمنا الأمان لإسرائيل وأعطيناها وسائل الدفاع عن نفسها فان هذه الخطوة ستكون من شأنها أن تضع عبد الناصر ومن يتبعونه فى مكانهم لفترة طويلة . بل قالت جريدة الديلى ميل الانجليزية فى ٣٠ يوليو : « إن ممثلى الغرب يبحثون المشروعات الحربية لمواجهة الموقف » . وقالت نشرة الأنباء الانجليزية فى ١٣ سبتمبر : « إن إستخدام القوة لازال ممكنا فى المستقبل القريب وأن نقطة البدء يحتمل أن تكون فى شبه جزيرة سيناء » . وقد ذكرت دوائر الأمم المتحدة أن كريستيان بينو أثناء مناقشة بجلسة الأمم لمشكلة القناة قال بالحرف الواحد « أن اللعبة لم تنته بعد » .

واضح إذن أن نية العدوان كانت مبيتة لأن مشروعات الغزو كانت معدة . ولم تكن إسرائيل إلا مخلب القط . فقد كشفت مجلة تايم أمر الإتفاق السرى الذى عقد بين فرنسا وإسرائيل ، إذ سافر وزير الدفاع الفرنسى إلى لندن ليتفاوض مع الحكومة الانجليزية فى وضع خطط

عسكرية لاحتلال القناة . وأرسلت فرنسا سراً طائرات مستير الفرنسية إلى إسرائيل ، وأطلعت إسرائيل فرنسا على خطط الغزو ، وذهب بينو إلى انجلترا فى ١٣ أكتوبر ليبلغ لندن أن إسرائيل مستعدة لشن الحرب . وكان الانجليز والفرنسيون على علم تام مقدما بكافة ماتقوم به إسرائيل .

إن دور إسرائيل ، كما قال خروتشوف ، كان قاصراً على بدء القتال ، لقد كانت إسرائيل أشبه شيء بالغلام الذى يرسله المعتدى قبله ليبرر تدخله قائلا : « لا تضرب الغلام ، ولو لم تشعر إسرائيل بأن بريطانيا وفرنسا تؤيدانها ، لكان فى وسع العرب أن يلطموها » .

بل من الثابت أن القوات التى استولت على رفح ، كانت قوات بريطانية أساساً ، لا إسرائيلية تعززها الدبابات البريطانية ، وأن هذه القوات قد نزلت فى إسرائيل قبل أن تعلن التعبئة العامة فى إسرائيل بزمن طويل ، وقد قامت هذه القوات بعمليات حربية فى شبه جزيرة سيناء .

وقد اعترفت وزارة الطيران الفرنسية رسمياً ، بأن بعض المدربين على إستخدام الطائرات النفاثة كانوا فى إسرائيل أثناء الحملة الأخيرة التى شنتها ضد مصر .

فماذا كانت خطة العدوان المبيتة إذن ؟ . .

كان التقدير السياسى للعدوان .

أن شعب مصر ، سيثور على حكومته الوطنية لأول قنبلة أو قنبلتين تصيبا القاهرة .

أن الشعوب والدول العربية سترتجف رعباً ، فتنهار الجبهة العربية ،

وتجد مصر نفسها فى عزلة تامة . وفى حالة نجاح الغزو ، تتخذ مصر قاعدة للجواسيس ومركز نشاط لهم ، ومركزاً لتدبير المؤمرات ضد الأردن وسوريا والبلاد العربية .

إن دول باندونج لن تستطيع أن تصنع شيئاً ، أو تقوم ببذل أى عون مادى أو معنوى يؤثر فى وصف العدوان بنفس السرعة التى ينفذ بها الغزو .

أن انجلترا وفرنسا ستحتلان القناة وبالتالى تخضع مصر مرة أخرى سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، فتعود مصر إلى شبه مستعمرة تحرك سياستها لندن وباريس . وقد تحطمت صناعتها ومشروع السد العالى فيها وعاد الإقطاع والإحتكار الأجنبى إلى السيطرة على شئونها .

وأن يكون لإسرائيل مقابل إشتراكها شبه جزيرة سيناء وغزة والضفة الغربية من الأردن .

إن هزيمة مصر، وتحولها إلى شبه مستعمرة ، سيؤدى حتما إلى إنهيار الشرق العربى ، فتسقط سوريا والأردن فى مخالب الاستعمار ، وتموت الحركة التحريرية فى الجزائر ، وتهبط البلاد التى فازت باستقلالها حديثا كالسودان ومراكش وتونس إلى مصاف أشباه المستعمرات مرة أخرى.

أن تصاب الحركة التحريرية فى العالم بنكسة ، فتتردد الهند وأندونيسيا وبورما وأفغانستان فى سياستها الوطنية ، سياسة الاستقلال والتحرر والسلام .

ألا تقوم لفترة طويلة حركات تحريرية فى أفريقيا التى تغلى اليوم

يتوذن بالإنفجار فى كل مكان . هكذا ، كانت الخطة السياسية الت
أرادها المستعمرون من العدوان على مصر .

لقد كانت هذه هى خطة العدوان .

خطة قائمة على الغدر والخيانة والاستهتار بكافة المواثيق الدولية
وبهيئة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن .

* * *

الفصل الثالث

الـــردّ علـى العـدوان

ولكن ، مصر ردت العدوان فى قوة وحزم وبسالة نادرة ، ردته سياسيا . . وردته عسكريا .

أما من الناحية السياسية :

فأدت الحكومة واجبها كاملا ، فقدمت للعالم الأدلة الناطقة التى تثبت خسة المستعمرين ونذالتهم وتآمرهم ضد أمن بلادنا وسلامتها .

لقد دعت الحكومة المصرية جميع ممثلى الصحف ووكالات الأنباء فى العالم ليحضروا إلى مصر لمشاهدة الحرائق والقتل والتخريب التى كانت مسرحا للعمليات الحربية العدوانية .

إن الحكومة المصرية ، قد سمحت لممثلى الهيئات الشعبية بالسفر إلى الخارج ليؤدوا رسالتهم الوطنية ، ويضعوا الحقائق أمام شعوب العالم وإقناعهم بعدالة قضيتنا ، فسافر لهذا الغرض وفد من العمال المصريين ، ووفد آخر يمثل اللجنة الوطنية لأنصار السلام .

وقد أدت الإذاعة المصرية دورها فى هزيمة الأبواق الاستعمارية ، وفضح الأكاذيب والإشاعات التى يروجها العدو ، بهدف تحطيم معنويات الشعب .

وقامت الصحافة بواجبها فى حماية الشعب من الحملات المغرضة ، الأقلام الخبيثة التى تهدف إلى تزكية أهداف المستعمرين . وكانت لجرائد تصدر عدداً كل ثلاث ساعات ، حماية للشعب من أكاذيب لمستعمرين وأضاليلهم .

وأصدرت الحكومة بيانا تنشد فيه المعونة من كافة دول العالم ، وقف العدوان والغزو الاستعمارى على مصر .

كل هذا ، كان له أكبر الأثر فى أن يقف بجانبنا ٦٥ دولة ، ويدينون حكومات الانجليز والفرنسيين فى عدوانهم الغاشم .

ووقفت إلى جانب مصر ، فى رد العدوان ، الحكومات العربية ، قطعت العلاقات جميعها مع الدول المعتدية ، واستعدت بجيوشها للقتال جانب جيشنا وشعبنا الباسل ، وقامت حكومة كل من سوريا والأردن شقيقين بفضح أهداف ونوايا العدوان الغاشم على مصر . وأعلنوا أن لإعتداء على مصر ، هو إعتداء على الدول العربية جميعا ، وطالبوا وقف إطلاق النار ، ومحاكمة المسئولين من الاستعماريين .

وقد شذ عن هذا الجمع المناضل فى أرض العروبة الطاهرة ، حكومة لخائن نورى السعيد حيث وقفت حكومته فى صف العدو . ولكن الشعب عراقى كله كان إلى جانبنا وقاوم ببطولة فائقة مؤامرات نورى السعيد .

ووقفت معظم حكومات الدول إلى جانب قضيتنا ، وأيدتنا الشعوب الحكومات الآسيوية والأفريقية فى كفاحنا المقدس من أجل الحرية الاستقلال ورد العدوان .

ولن ننسى الدور الرائع الذى قام به الشعب السوفيتى وحكومته ، الإنذار الحاسم الذى وجهه بسحق المعتدين إذا لم يوقف إطلاق النار

فوراً . وكذلك ، الشعب الصينى وحكومته ، والهند ، وغيرهم مما أضاف إلى قوة شعبنا وجيشنا وحكومتنا قوة فى رد العدوان قوة جديدة . هى قوة السلام فى العالم .

أما من الناحية العسكرية :

لقد أدرك الرئيس جمال عبد الناصر المؤامرة العسكرية الاستعمارية ، فأصدر الأمر بانسحاب القوات الرئيسية المصرية من شبه جزيرة سيناء ، حتى لاتحاصرها القوات المعادية من الشرق والغرب ، وأصدر أمره بالمحافظة على سلاح الطيران المصرى ، حتى لايتعرض للإبادة . وصفى القاعدة العسكرية للبريطانية فى منطقة القنال ، واستولى على كافة أسلحتها واعتقل كافة خبرائها وأصدر أمره بانضمام الجيش إلى الشعب وإلى جيش التحرير الوطنى . . . وتحولت الاسماعيلية والسويس وما حولها إلى قلاع من المستحيل الاستيلاء عليها .

ثم جاءت ، معركة بور سعيد الخالدة ، التى أظهرت بطولة رائعة ، جعلتها ستالينجراد الثانية .

فلم تستطع قوات دولتين كبيرتين ، بل إمبراطوريتين كانت لهما السيطرة على العالم فى وقت من الأوقات ، مع قوات إسرائيل ، وقوات أخرى ثبت أنها اشتركت فى العدوان من تركيا واستراليا ونيوزيلندا ، ومن السنغاليين ، رغم تزويدها بالأسلحة الحديثة . . ورغم إستخدامها لأسلحة حلف الأطلنطى . . أن تحتل أكثر من بور سعيد .

ووضعت مصر وجيش مصر ، بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، استراتيجية جديدة نبتت من المعركة ذاتها .

هذه الاستراتيجية الجديدة ، تتلخص فى أن أى عدوان إسرائيلى على مصر ، لايمكن أن يتم إلا بمساندة قوات إستعمارية .. فالدفاع الرئيسى عن مصر ، لايمكن أن يكون فى منطقة غزة أو شبه جزيرة سيناء ، أو رفح أو العريش ، أو أبو عجيلة .

وإنما الدفاع عن مصر ، إنما يكون فى الدلتا والقاهرة والصعيد والموانىء : اسكندرية ورشيد ودمياط والمنزلة والمطرية وبور سعيد .

وأن هذا الدفاع ، لايمكن أن يقوم به الجيش وحده ، ولا الشعب المسلح وحده ، إنما يكون بتعاون الجيش والشعب المدرب على حرب العصابات خير تدريب .

وأن يكون الدفاع ، عن كل مدينة ، وكل قرية ، ومن شارع إلى شارع ، ومن بيت إلى بيت .

وألا يترك للعدو ، إلا الخراب التام ، أرض محترقة لازرع فيها ولا حيوان ، وأن تترك فى كل قرية أو مدينة يحتلها مراكز مقاومة سرية ، تستمر فى مضايقة خطوط العدو .

وأن يكون هناك ، وعى سياسى فى صفوف الجيش وصفوف الشعب ، بأهداف المعركة ونيات الاستعمار فلا تكون معركة عسكرية فحسب ، وإنما سياسية أيضا ، معركة دعاية وإثارة .

هذه ، هى الخطوط العامة لإستراتيجية مصر ، فى دفاعها عن أرضها المقدسة .

استراتيجية ، نبعت من المعركة ذاتها ...

* * *

الشعب يرد العدوان :

وأزاء البربرية الاستعمارية ، والعدوان الغاشم ، لم يقف الشعب مكتوف الأيدى ، فدخل المعركة بثقله وبكل مايملك ، وابتكرت عبقرية الشعب أشكالا جديدة لمقاومة الغزاة . فتكونت جبهة الشعب والحكومة . وجيش التحرير الوطنى ، ولجان المقاومة الشعبية ، ولقنت المعتدين درساً يليق بهمجية الانجليز والفرنسيين . وقد اختبرت هذه الأشكال التنظيمية فى المعركة ، فأثبتت تفوقها ونجاحها ، وما بور سعيد إلا مثالا لمقاومة الشعب الباسلة ضد المعتدين .

مقاومة الشعب فى بور سعيد الباسلة :

كانوا يظنون ، أنهم بمجرد أن يهبطوا فى بور سعيد بأسلحتهم ، فإن الشعب سيرتعد ويستسلم من أول طلقة . . ولكنهم كانوا واهمين . . . لقد قابلهم الشعب البورسعيدى كعملاق جبار ، لم يعبأ بأساطيلهم ، ولا بقاذفات قنابلهم ، ولا بدباباتهم ، ولا بكل الأنواع الأخرى من أسلحة الإبادة كان أهالى بور سعيد ، يهجمون على الدبابات بأيديهم ويقلبونها ويقتلون من فيها ، كما كانوا يقاتلون جنود المظلات بكل شىء ، لقد قاتلهم الشعب قتالا مريراً . . كان يواجه أسلحة الفناء بعزم وإيمان وإصرار ، ولم يكن يتخلى عن شبر واحد من أرض بور سعيد إلا بعد معركة دامية بينه وبين هؤلاء المتوحشين ، وكانت لجنة المقاومة الشعبية فى بور سعيد ، تقود المعركة فى بسالة ومهارة نادرتين ، وكان شعارها الدفاع عن المدينة إلى آخر رجل ، ووجهت تعليماتها إلى الشعب وهى :

١ — كل منكم يدرب الآخر . . .

٢ — انكر ذاتك فى المعركة . . .

٣ — لا تبخل على زميلك المدرب بالسلاح . . ومنتهى الوطنية أن تعطى زميلك الأكثر تدريباً سلاحك .

٤ — لا تطلق رصاصك فى الهواء . . واقتصد فى إستعمال الذخيرة .

وأصدرت مجلة الانتصار ، التى لعبت دوراً فى ربط وتوحيد الخطط ضد المستعمرين المحتلين ولعبت دوراً هاما فى تنظيم عمليات التموين ، والعمليات الحربية بعد احتلال بور سعيد . . الخ

المتوحشون :

ورغم بربرية ووحشية المعتـــدين ، أصر الشعب على المقاومة . فانقلب الغزاة إلى وحش ضار ، لا يملك ذرة من العقل أو الإنسانية ، وراح الاستعمار ينشر الموت والدمار حيثما يكون . لقد ارتكب الاستعماريون الانجليز والفرنسيين من الجرائم البشعة مايعجز وحوش الغاب عن إرتكابه . . .

لقد هاجموا المدينة الطيبة الوادعة التى لا يزيد سكانها عن ٢٥١ ألف نسمة . . . هاجموها بطلائع قوات تبلغ أكثر من ١٦٠ ألف جندى و١٥٠٠ طائرة من أحدث الأنواع ، ومئات الدبابات والمصفحات الأخرى . . وفى صبيحة ٢ أكتوبر الساعة السابعة والنصف ، ظهرت فى سماء بور سعيد طائرات حلف الأطلنطى بعدد مذهل ، بعضها

قاذفات قنابل ، والبعض الآخر حاملات جنود المظلات ، واستمرت طائرات العدو تضرب مدفعية السواحل والمدينة وخاصة الطابيتين الرئيسيتين فى المدينة من الصباح حتى الساعة السادسة مساء من نفس اليوم ، أى مايقرب من ١٢ ساعة . تصوروا أيها العمال ، يامن تصنعون الحياة ، ضرب مدينة متوسطة ١٢ ساعة متوالية فى يوم واحد بالقنابل ، لقد هاجموا المدينة الصغيرة من البر ، والبحر ، والجو ، وكانت قاذفات القنابل الضخمة تشن الغارات الوحشية المتتابعة ، وترسل الموت والنار فى كل مكان . . . لقد وصلت بهم وحشيتهم إلى حد أنهم شنوا على المدينة الصغيرة ٥٠٠ غارة فى أول يوم من الإعتداء و٤٢٠ غارة فى اليوم العاشر من الإعتداء . . . لم يكن فى المدينة من الأهداف العسكرية ما يستوجب شن كل هذه الغارات ، وإسقاط ألوف الأطنان من القنابل . . . إنما كان الهدف هو الشعب نفسه هو المقاومة الشعبية ذاتها ، هو إبادة السكان . . . ونشر روح الذعر والخوف فى مصر كلها . . والنيل من الروح المعنوية للشعب . . ومن أجل ذلك ، فقد كانت وحشيتهم التى يعجز الإنسان عن التعبير عنها .

وأعلن الشعب على لسان قائده الرئيس جمال عبد الناصر أنه لن يستسلم ، وأنه سيقاوم رغم كل هذا إلى آخر رجل ، وجن جنونهم ، وانهارت أعصابهم ، وأخذوا يضربون ويضربون بدون تمييز فى شكل جنونى ، فضربوا المستشفيات ، والمدينة كلها ، وكانت طائراتهم تحلق إلى مسافة قريبة من الأرض ، وتضرب الوطنيين بالقنابل ورصاص المدافع الرشاشة ، وقذفت الطائرات الصواريخ المشتعلة على المنازل

الخشبية فى منطقة المناخ ، وبالبودرة المساعدة على الاشتعال ، كما ضربوا خزانات البنزين ومخازن البترول ، وبذلك اشتعلت المدينة كلها دفعة واحدة ، وحاصرت القوات المعتدية الأطفال والنســـاء فى الطرقات بالنيران ، لقد كانوا يحرقون فلا يميزون بين رجل وامرأة .. بين شاب وفتاة .. بين طفل صغير وكهل عجوز .. كانوا يريدون القضاء على المقاومة الشعبية فى أسرع وقت ، فاستخدموا من أسلحة الإبادة ما يقف لها شعر الرؤوس ..

لقد حولوا أغلب المدينة إلى أكوام من التراب ، ومابقى فيها من بيوت ، كان الجنود المعتدون يقتحمونها ويفتشون كل ركن فيها ، وكل جدار منها بطريقة بشعة مروعة إستفزازية .. وإمعانا فى الوحشية والتجرد من كل مايتصل بالإنسانية ، إستولوا على وابور المياه وقطعوا الماء عن الأهالى مرة لمدة ٢٤ ساعة ، ومرة أخرى لمدة ثلاثة أيام متوالية ...

لقد جعلوا الأهالى يقاسون الجوع والعطش ، ولكى يقتلوا معنوياتهم ، فقد صادروا كل أجهزة الراديو التى وجدوها ، لكى يفقدوهم كل صلة بينهم وبين إذاعتهم وباقى وطنهم .

ولقد شهد الصحفيون الأجانب كل تلك الجرائم التى إرتكبها المتوحشون ، بالرغم من أنهم منعوا من التجول فى بور سعيد ...

لقد حاولت جماعة من جمعية الهلال الأحمر أن تدخل بور سعيد لتعتنى بالجرحى ومعالجتهم ، ولكنهم منعوا من ذلك بهمجية ووحشية ،

قاذفات قنابل ، والبعض الآخر حاملات جنود المظلات ، واستمرت طائرات العدو تضرب مدفعية السواحل والمدينة وخاصة الطابيتين الرئيسيتين فى المدينة من الصباح حتى الساعة السادسة مساء من نفس اليوم ، أى مايقرب من ١٢ ساعة . تصوروا أيها العمال ، يامن تصنعون الحياة ، ضرب مدينة متوسطة ١٢ ساعة متوالية فى يوم واحد بالقنابل . لقد هاجموا المدينة الصغيرة من البر ، والبحر ، والجو ، وكانت قاذفات القنابل الضخمة تشن الغارات الوحشية المتتابعة ، وترسل الموت والنار فى كل مكان . . . لقد وصلت بهم وحشيتهم إلى حد أنهم شنوا على المدينة الصغيرة ٥٠٠ غارة فى أول يوم من الإعتداء و ٤٢٠ غارة فى اليوم العاشر من الإعتداء . . . لم يكن فى المدينة من الأهداف العسكرية ما يستوجب شن كل هذه الغارات ، وإسقاط ألوف الأطنان من القنابل . . . إنما كان الهدف هو الشعب نفسه هو المقاومة الشعبية ذاتها ، هو إبادة السكان . . . ونشر روح الذعر والخوف فى مصر كلها . . والنيل من الروح المعنوية للشعب . . ومن أجل ذلك ، فقد كانت وحشيتهم التى يعجز الإنسان عن التعبير عنها .

وأعلن الشعب على لسان قائده الرئيس جمال عبد الناصر ، أنه لن يستسلم ، وأنه سيقاوم رغم كل هذا إلى آخر رجل ، وجن جنونهم ، وانهارت أعصابهم ، وأخذوا يضربون ويضربون بدون تمييز فى شكل جنونى ، فضربوا المستشفيات ، والمدينة كلها ، وكانت طائراتهم تحلق إلى مسافة قريبة من الأرض ، وتضرب الوطنيين بالقنابل ورصاص المدافع الرشاشة ، وقذفت الطائرات الصواريخ المشتعلة على المنازل

الخشبية فى منطقة المناخ ، وبالبودرة المساعدة على الاشتعال ، كما ضربوا خزانات البنزين ومخازن البترول ، وبذلك اشتعلت المدينة كلها دفعة واحدة ، وحاصرت القوات المعتدية الأطفال والنســـاء فى الطرقات بالنيران ، لقد كانوا يحرقون فلا يميزون بين رجل وامرأة .. بين شاب وفتاة .. بين طفل صغير وكهل عجوز .. كانوا يريدون القضاء على المقاومة الشعبية فى أسرع وقت ، فاستخدموا من أسلحة الإبادة ما يقف لها شعر الرؤوس ..

لقد حولوا أغلب المدينة إلى أكوام من التراب ، ومابقى فيها من بيوت ، كان الجنود المعتدون يقتحمونها ويفتشون كل ركن فيها ، وكل جدار منها بطريقة بشعة مروعة إستفزازية .. وإمعانا فى الوحشية والتجرد من كل مايتصل بالإنسانية ، إستولوا على وابور المياه وقطعوا الماء عن الأهالى مرة لمدة ٢٤ ساعة ، ومرة أخرى لمدة ثلاثة أيام متوالية ...

لقد جعلوا الأهالى يقاسون الجوع والعطش ، ولكى يقتلوا معنوياتهم ، فقد صادروا كل أجهزة الراديو التى وجدوها ، لكى يفقدوهم كل صلة بينهم وبين إذاعتهم وباقى وطنهم .

ولقد شهد الصحفيون الأجانب كل تلك الجرائم التى إرتكبها المتوحشون ، بالرغم من أنهم منعوا من التجول فى بور سعيد ...

لقد حاولت جماعة من جمعية الهلال الأحمر أن تدخل بور سعيد لتعتنى بالجرحى ومعالجتهم ، ولكنهم منعوا من ذلك بهمجية ووحشية ،

وبذلك ترك الجرحى لمدة طويلة يموتون بدون أى علاج ، كما منعوا الباخرة الإيطالية .. باخرة المستشفى .. التى جاءت تلبية لنداء الإنسانية الذى وجهته حكومتنا باسم الشعب .. مخالفين بذلك كل القيم الإنسانية ومخالفين ميثاق حقوق الإنسان .

لقد فعل المجرمون كل هذه الجرائم ، لكى ينالوا من الروح المعنوية للشعب فى بور سعيد ؛ ولكن جرائمهم هذه ، أدت إلى تقوية روح المقاومة والاستبسال ، وفى يوم ٢ أكتوبر الساعة الثانية والنصف ظهراً ، أنزلت طائرات الأعداء فى منطقة الرسوة ، وهى منطقة تقع جنوب بور سعيد وتبعد ٣ كم عن المدينة ، عـــدداً كبيراً من جنود المظلات ، ولكن بالرغم من هذه المسافة الطويلة ، فقد هاجمهم الشعب بالاشتراك مع القوات المسلحة والبوليس وجيش التحرير ، واستمرت المعركة لمدة ٤ ساعات بين قواتنا وقوات العدو ، وقد أبيدت قوات العدو فى هذه المعركة عن آخرها .

هذا ، فى بور سعيد ، المدينة المصرية التى أبت أن تستسلم للعدو ، وهذه المقاومة الشعبية الجبارة فى أعلى مراتبها ، وهؤلاء هم البورسعيديون الأبطال الذين ناضلوا ومازالوا يناضلون من أجل مدينتهم الباسلة ، ومن أجل أمهم مصر . . . والذين أعطوا للمستعمرين مصاصى دماء الشعوب درسا لا ينسوه .

لم يبق لدينا ، بعد أن تناولنا المعركة من الناحية السياسية والعسكرية وكشفنا عن النوايا والأسباب الحقيقية للعدوان ، والرد عليه ، إلا أن

نتكلم عن دور الطبقة العاملة ، وهو موضوع الكتاب الأساسى كما ذكرنا فى أول الكتاب أنه من المستحيل إبراز دور الطبقة العاملة منفصلا لأن المعركة ، معركة الشعب كله ، عمالا وفلاحين ، وضباطا وجنودا وطلبة ، وتجارا وموظفين وكل فئات الشعب . إلا أن الطبقة العاملة ، برزت كقوة مميزة فى حرب التحرير ضد الغزاة المستعمرين .

* * *

الفصل الرابع

الطبقة العاملة فى المقدمة

كانت الطبقة العاملة دائما هدفا لعدوان الاستعماريين ، فحالوا بطرق شتى دون وحدتها ليبطلوا انتصارها فى معركة الحرية والاستقلال ، وليزيدوا من إستغلالها وعبوديتها .

وأدركت الطبقة العاملة، أنه لاطريق أمامها كى تنجز مهامها التاريخية ضد الاستعمار ، إلا بوحدة صفوفها وتدعيم تكتلاتها .

وصاحب انتصارات شعبنا على الاستعمار ، انتصارات للطبقة العاملة فى مجال التنظيم والوحدة ، مما كان له أثر كبير فى تعبيد الطريق نحو الحرية والاستقلال ، وفى المحافظة على ما كسبه شعبنا وجيشنا وحكومتنا الوطنية فى الصراع السياسى والعسكرى والاقتصادى ضد الاستعمار الذى خسر مراكزه ، ليس فى بلادنا فحسب ، بل فى كل البلاد العربية .

ومما لاشك فيه ، بعد أن انتصر العمال فى مجال التنظيم والوحدة ، وأصبحوا يملكون سلاحا لا تقوى على هزيمته أسلحة الاستعماريين ، وأصبحوا أيضا يملكون الظروف التى تجعلهم فى مركز صالح للوثوب على الاستعماريين وخنقهم والقضاء عليهم إلى الأبد . فأصبحت بلادنا حرة مستقلة ذات سيادة وعلى رأس شعبنا حكومة وطنية تحمى ظهر الشعب والجيش من الجواسيس والخونة وعملاء العدو ، وأصبح السلاح فى يد

الشعب ومعسكرات التدريب تستقبل كل يوم الآلاف من المواطنين للتدريب على إستخدام الأسلحة ، وجيش التحرير الوطنى يضم فى صفوفه كل من يريد الذود عن الوطن ، وتكونت لجان المقاومة الشعبية فى كل مكان لتعبئة إمكانيات الشعب لصالح حرب التحرير ، وأصبح الجيش يقف بأسلحته الحديثة فى صف الشعب ضد المستعمرين الغزاة ، وغيرهم ، ذلك من مظاهر الاستقلال والسيادة القومية والسيادة المستقلة لخير مصر ، ولصالح الشعب .

كل هذا ، جعل الطبقة العاملة فى مركز أقوى وفى المقدمة ، وكانت ضرباتها قاضية ، أذهلت المستعمرين وأجبرتهم على وقف إطلاق النار ، يلحقهم الخزى والعار والهزيمة وتلعنهم الشعوب فى كافة أنحاء العالم .

وقود الثورة للطبقة العاملة ضد الاستعمار :

لم ينس العمال فى المعركة شهداءهم فى ثورة ١٩١٩ ، وفى الهبات الوطنية عامى ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ، ولم ينس العمال يومهم الخالد وشهداءهم الأبطال فى يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ ، لم ينس العمال عجلات اللوريات الانجليزية المندفعة بسرعة جنونية تدهس أبطالهم فى ميدان التحرير وكذلك شهداءهم عام ١٩٥١ بعد إلغاء المعاهدة المشئومة ، فكان تاريخ عمال وشهدائهم وقوداً ثورياً ، يدفع حشودهم الثائرة ضد المستعمرين فى معارك بطولية جبارة . وكان نجاح المستعمرين لا قدر الله ، معناه العودة إلى حكم المرتشين من العملاء ، ومعناه المعتقلات للعمال وزعمائهم وللزعماء الوطنيين الشرفاء . إن تاريخ الاستعمار فى بلادنا هو صراع لا هوادة فيه ضد الطبقة العاملة بشكل خاص ، وضد الشعب بشكل عام .

فى الوقت الذى كانت تتحرك فيه الأساطيل البحرية والجوية لدولتى الاستعمار ، انجلترا وفرنسا ، بالاشتراك مع القوات الصهيونية ، للعدوان على استقلال مصر وسيادتها ، كانت الطبقة العاملة تتحرك كتائبها لتأخذ المواقع اللازمة لملاقاة العدو فى مصر ، وفى جميع أنحاء الوطن العربى وفى العالم أجمع .

ولا يسعنا ، حين نتكلم عن العمال فى حرب التحرير ، إلا أن نشعر مع جميع مواطنينا بالعزة ، والفخر ، لوعى عمالنا ، ويقظتهم الوطنية ، والتفافهم بإخلاص وتحمس وبعقيدة ثابتة حول بطل مصر الرئيس جمال عبد الناصر . وفى الوقت الذى لانستطيع أن نعبر فيه عن الحقيقة الكاملة ، إلا أننا سوف نترك بيانات العمال ونداءاتهم وقراراتهم ، تنطق بوعيهم المتطور .

فى يوم ١٠ أغسطس ١٩٥٦ ، أصدر المؤتمر الدائم ، نداء إلى جميع عمال الجمهورية المصرية يطالبهم فيه بالإضراب العام الشامل يوم ١٦ أغسطس ، وهو موعد انعقاد مؤتمر لندن الاستعمارى وهذا نص البيان .

بيان

استنكار مؤتمر لندن

بالتوقف التام عن العمل يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦

« يعلن المؤتمر الدائم لنقابات عمال جمهورية مصر شكره وكامل تأييده للقرارات العملية التى اتخذها الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب فى

جلسته الاستثنائية التى عقدها فى القاهرة يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٥٦ محددا بها موقف العمال العرب من أى عدوان يقع على مصر بسبب مباشرتها لسيادتها الكاملة بتأميم قنال السويس.

وإن المؤتمر الدائم لنقابات عمال الجمهورية المصرية ، إذ يؤيد القرارات العملية ، يبادر إلى تنفيذها تباعا ، فقد تحدد يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ موعدا لاستنكار مؤتمر لندن الاستعمارى وذلك بالتوقف التام عن العمل فى هذا اليوم ، لتعلم كل دولة أو دول طامعة فى العالم أن مصر لاتقف وحدها فى الكفاح من أجل تثبيت حريتها وسيادتها ، وإنما تقف معها الأمة العربية كلها ممثلة فى عمالها ، وهم غالبية الشعوب العربية.

فإلى عمال جمهورية مصر على اختلاف مهنهم وحرفهم نتوجه بالأمل أن يتوقفوا عن العمل يوم الخميس ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ متضامنين فى ذلك مع زملائهم العمال فى كل بلد عربى ، هؤلاء الإخوة الكرام الذين أعلنو وقوفهم إلى جوار مصر العربية يذودون عن حريتها وسيادتها بالدم والمال والولد .

لتمتنع عن العمل فى هذا اليوم ، الخميس ١٦ أغسطس إعلانا لسخط الشعب المصرى على مؤامرات الغرب ومحاولاته استعادة نفوذه وبسط سلطانه على بلادنا الحرة ، فان عقارب الزمن لن تعود إلى الوراء .

وأصدرت الاتحادات والنقابات العمالية قراراتها ونداءاتها إلى عمالها تحمل نفس المعنى .

واستجابت الطبقة العاملة بأسرها ، وشاركها جميع أفراد الشعب فى هذا اليوم المجيد من أيام نضالنا ضد العدو .

وحينما قامت إسرائيل بتأييد من الطيران الانجليزى والفرنسى بضرب المواقع المصرية فى سيناء وغزة فى يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وذلك تطبيقا لخطة العدوان الاستعمارية ، لم يمهل العمال المستعمرين لحظة واحدة ، فأصدر اتحاد نقابات الغزل والنسيج نداءه الوطنى إلى أبناء المهنة فى نفس اليوم ، جاء فيه :

أيها الزملاء .

« إنسوا مشاكلكم ... إنسوا خلافاتكم . . . وكونوا صفا واحدا ضد العصابات اليهودية وربيبها الاستعمار الانجلو فرنسى .

كن مستعدا أيها الزميل للدفاع عن وطنك فى كل مكان .

إن شرفكم ، وأعراض أخواتكم وأمهاتكم وبناتكم وزوجاتكم تهيب بكم أن تستميتوا فى الدفاع عن وطننا الجديد . إن الوطن يطلب من كل مواطن جهده . . . إن الاتحاد يحيى بكل فخر أعضاءه الذين تقدموا صفوف جيش التحرير . . . إن الاتحاد ليهيب بالزملاء الذين يحمون صفوف الجبهة فى الداخل أن يكونوا على أهبة الاستعداد . . . فلتعدوا فرقا لحماية مصانعنا . . . ان الوطن فى حاجة إلى كل ساعة وكل دقيقة من وقتكم ... إن كل زيادة فى الانتاج هى سلاح ماض تشهرونه فى وجه أعدائكم . . . إن صناعتنا الوطنية هى الخط الخلفى لقواتنا الباسلة . . . فليؤمن كل منكم وهو يعمل فى مصنعه أنه يؤدى واجبا لايقل عن زميله المجاهد فى الميدان ... لم يعد هناك مجال لمشكلة من جانب رب عمل وآخر . . . لم يعد هناك استفزاز من جانب ضد الآخر ، فالواجب يحتم علينا جميعا أن نقف صفا واحدا فى معركة الحرية ... إن الاتحاد مؤمن بوطنية أعضائه . . . إن الاتحاد مؤمن بأن عجلة المصانع ستسير . . .

ستسير أقوى مما كانت ... إننا مؤمنون أيها الزملاء أنكم ستواصلون الليل بالنهار ولن تحس المصانع أى نقص من إنتاجهم مهما كان عدد المتطوعين سنحمى ظهورنا ونقوم بدورنا فى المعركة . . . سنكافح عن كل شبر من أرضنا ... سندافع عن بيوتنا ، عن مصانعنا ، عن إنتاجنا القومى ... إنها معركة الحرية ، إنها معركة الحياة ، بل إنها معركة النصر ... تذكروا دماء شهدائكم . . . تذكروا أن بينكم وبين الاستعمار ثأرا » .

وصدر من النقابات المختلفة بيانات عديدة تحدد بدقة ووعى متطور دور العمال فى المعركة ، وتحثهم على زيادة الإنتاج وعلى الإنخراط فى جيش التحرير الوطنى ، وأن يتنازل العمال عن مشاكلهم الخاصة ، وأن يوقفوا قضاياهم ومنازعاتهم مع أصحاب الأعمال فى الظروف الراهنة حتى يتسنى لجميع العمال أن يعبئوا جهودهم وإمكانياتهم للمعركة ، وهذا نداء آخر يفيض بالوطنية والوعى أصدرته النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج والتريكو وملحقاتها بشبرا الخيمة ، جاء فيه :

« أيها المواطنون ، لقد هبت مصر عن بكرة أبيها تدافع عن حريتها واستقلالها ، لقـــد أعلنت مصر بكافة طوائفها وطبقاتها ، وعمالها وفلاحيها وتجارها وموظفيها ، وطلابها ، ومثقفيها ، رجالها ونساءها على لسان رئيس جمهوريتها البطل جمال عبد الناصر التعبئة العامة والمقاومة الشعبية .

أيها المواطنون : إننا نخوض اليوم معركة من أنبل المعارك الإنسانية وأشرفها ، نخوض هذه المعركة تساندنا قوة جبارة عملاقة ، نخوض المعركة تساندنا قوى السلام فى العالم ، هذه القوة تتمثل فى جميع شعوب

الأرض والعديد من الحكومات الصديقة العظيمة ، حكومات الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية ودول أوروبا الشرقية ، إننا نخوض المعركة تشد من إزرنا شعوب البلاد العربية الشقيقة وشعوب دول باندونج .

أيها المواطنون : إننا نخوض المعركة واثقين من النصر وثوقنا من وجودنا ، مستمدين هذه الثقة من بطولة الشعب المصرى ومن تاريخه المجيد ، لقد وطدنا العزم على أن نصفى حسابنا مع قوى البغى والشر والعدوان ، وأقسمنا على إبادة من تطأ قدمه أرض الوطن من هذه العصابات الاستعمارية .

أيها المواطنون : إننا نعاهد الوطن أننا سنكون فى مقدمة الصفوف وفى كل الميادين ، ميدان القتال ، ميدان الإنتاج ، ميدان البناء ، حتى نضمن لبلادنا النصر وإنزال الهزيمة بالمستعمرين الغزاة ، إننا نعاهد أنفسنا ونعاهد الوطن على أننا سنبذل مافى طاقتنا لزيادة الإنتاج عما كان عليه قبل ذهاب زملائنا إلى المعركة .

أيها المواطنون : إننا نناشدكم بالمسارعة للانضمام إلى جيش التحرير والحرس الوطنى ، أننا ندعو جميع الزملاء والزميلات أن ينضموا إلى كتائب المقاومة الشعبية للدفاع عن منازلنا وأولادنا ، سندافع عن كل شبر من أرضنا ، وسنجعل مصر مقبرة للاستعمار » .

ولا نكون مغالين إذا قلنا أن عمال شبرا الخيمة كان لهم نصيب كبير فى المعركة ، فتحول قصر محمد على بشبرا من مركز لتدبير المؤامرات ضد شعبنا أيام حكم الملكية والإقطاع ، إلى قلعة جبارة من قلاع الحرية والاستقلال فى عهد حكومتنا الوطنية الجديدة فاستقبل معسكره الآلاف

من العمال فى المنطقة وتم تدريبهم وأخذوا جميعهم مواقعهم فى جيش التحرير والحرس الوطنى ولجان المقاومة الشعبية ، إن القاهرة وشبرا الخيمة ليستا وحدهما مركز النشاط الوطنى للعمال ، ولكن إمتد هذا النشاط من أقصى البلاد إلى أدناها ، فالعمال فى السويس والاسماعيلية وبورسعيد والاسكندرية والمحلة الكبرى ، والعمال الزراعيون المنتشرون فى كل مكان ، كل يؤدى دوره فى نشاط وحماس بالغين ضد العدو .

فشعبنا ، لم وان ينس الاستعمار وفظائعه التى ارتكبها فى أرضنا . إن لكل مصرى ثأراً مع الاستعمار ، والكل يتلهف لاستقباله ، لذلك ، نجد الاستعدادات على قدم وساق داخل المعسكرات لإعداد أفواج أخرى من العمال المدربين ، ويبذل الآخرون طاقة جهدهم للمحافظة على مستوى الإنتاج بل زيادته كما حدث فى المناطق المختلفة ، كمنطقة كفر الدوار التى زاد الإنتاج فيها بنسبة كبيرة ، رغم أن عدد العمال قد نقص بمقدار الثلث قبل المعركة . ومن الاسكندرية ، المدينة الثائرة ، تهب صيحات العمال العاصفة بنداء نقابات شركة الغزل الأهلية ، يحثون فيه العمال على الجهاد والبذل والتضحية ، وفى حديث خاص مع رئيس النقابة الزميل على عبد القادر قال « إن عمال شركة الغزل الأهلية اشتركوا فى المعركة وذهب إلى الميدان منهم أكثر من خمسمائة عامل واستشهد منهم ٤ عمال فى الميدان ، وبيانات كثيرة وقرارات وأعمال جليلة ، تعبر عن السخط والثورة ، والثأر من المستعمرين الغزاة ، إن مدينة الاسكندرية لم تنس ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ، ولم تغفر للمستعمرين ما اقترفوه فى حق مدينتهم المناضلة ، وأصدرت نقابات العمال بمنطقة الرمل بالاسكندرية البيان الآتى (انتصرنا لأننا نؤمن بحقنا فى الحرية . . . انتصرنا لأننا نؤمن بضرورة إستقلالنا

وارتباطه بسلام العالم وحضارته . . . انتصرنا ، لشقتنا فى مصر . . . انتصرنا ، بفضل بسالة جيشنا ومساندة جيش التحرير الوطنى والمقاومة الشعبية . . . وانتصرنا ، بفضل وعى الشعب وإيمانه بسياسة قادته الوطنية . . . انتصرنا ، بفضل وحدتنا جميعا خلف قائد حركة التحرير العربى ، قائد حركتنا الوطنية ابن وادى النيل الرئيس جمال عبد الناصر انتصرنا ، بفضل تأييد شعوب العالم لنـــا بما فى ذلك شعوب الدول المعتدية على أراضينا . . . انتصرنا ، بفضل تأييد الطبقة العاملة العالمية لنـا واعتزازها بكفاحنا . . . إن الطبقة العاملة هى أكثر الطبقات إرتباطاً بقضايا التحرير والسلام . وها قد اندفعت الطبقة العاملة فى المعركة بكل قوتها فى ميدان الحرب والإنتاج وتمشيا مع ذلك ، طالبت النقابات العمال بأن يكونوا فى الصفوف الأمامية للمعركة ، كما طالبتهم وتطالبهم بالتبرع بالدم ، لأن هذه النقابات تدرك أن أى تهاون فى المعركة ، سيترتب عليه القضاء على إستقلالنا وسيادتنا) .

ونترك الحديث عن منطقة كفر الدوار المناضلة إلى الزميل العامل محمود عطا الله عبد الخالق رئيس نقابة العمال بكفر الدوار . (إن كل واحد فينا على استعداد أن يفتدى مصر بروحه ، كلنا قد جندنا أنفسنا منذ بداية المعركة ، لقد قسمنا أنفسنا إلى قسمين ، قسم يخوض المعركة ، وقسم آخر يواصل معركة الإنتاج التى نحس أنهـا جزء من المعركة التى تخوضها مصر ، من أجل مصر ، وما أن دقت ساعة الخطر ، حتى تحولت المصانع وملاعب الشركة وبيوت العمال إلى معسكرات ، تقدمنا كلنا لم يتخلف منا واحد ، وكنا نحدد لكل فرد منا مكانه ، أما فى طابور المقاتلين ، أو طابور الذين يسهرون على المصنع ويعملون كلهم من أجل

مصر ، لم تمض أيام قلائل ، حتى كان أربعة آلاف وخمسمائة عامل منا قد تحولوا إلى جنود مقاتلين من الطراز الأول ، وعندما اطمأنت القيادة لهم ، وآمنت أنهم على استعداد لكى يقوموا بدورهم فى الميدان كاملا ، حددت لهم أماكنهم هناك ، على خط النار .

الإنتاج يزيد :

وتحول الباقون إلى الإنتاج ، وكانت نسبة الانتاج فى المصنع قبل الاعتداء ٩٩ ٪ أما بعد الاعتداء رغم أن أكثر من ثلث العمال قد ذهبوا بعيدا عن المصنع ، فإن نسبة الانتاج وصلت إلى ١٢٥ ٪ عما كانت عليه قبل المعركة ، ويقول رئيس النقابة (أننا لم نفعل شيئا غريبا ، بل حاولنا أن نقوم بأداء واجبنا ، ولا شك أن كل مصرى يشعر بنفس الشعور الذى أحسه زملاؤنا العمال الذين قادوا معركة بور سعيد ، إن مصر كلها عمال ، والعمال كلهم جنود . (المساء تاريخ ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٦) .

قامت نقابة عمال ومستخدمى مصر لغزل النسيج الرفيع بكفر الدوار بدورها فى المعركة ، فأشرفت على معسكرات التدريب ، وقام زعماء العمال بشرح القضية الوطنية لعمالهم وللمواطنين فى كل المنطقة ، وأصدرت النقابة بيانها الأول ، جاء فيه : « زملاؤنا ومواطنونا ، أن واجبنا يحتم علينا أن نقود هذه المعركة بكل قوة وشجاعة ، لأنها بالنسبة الطبقة العاملة معركة الحرية والخلاص ، فنحن العمال ، أكثر الناس ارتباطا بالحرية والسلام ، فإذا لم تحقق الحرية لبلادنا ، فلن تكون لنا حرية فى عملنا ،

سيسخرنا الاستعمار ، سيمتص دماؤنا ، سنكد ونكدح ، وتغنم الاحتكارات الأجنبية) . وهكذا ، يمضى العمال بثبات فى المعركة ، من نصر إلى نصر ، ويسرى الوعى الجديد بين صفوفهم بسرعة أكبر ، وكان للعمال مكانهم الحقيقى فى المعركة ، فبعد أن أجبر المعتدون على وقف إطلاق النار ، لم يؤثر ذلك فى استعدادات العمال ولم يقلل من بذلهم وتضحياتهم ، فاستمرت حشودهم تزحف كل يوم إلى معسكرات التدريب ، وإلى المقاومة الشعبية ، وأعلن العمال بدء الجولة الثانية للمعركة ، أعلنوا الحرب على آثار التدمير الوحشى للغزاة فى بور سعيد ، أعلنوا الحرب على الخراب الذى نشره العدو والاستعمار المنهزم فى بور سعيد ، فقرر العمال بدء المعركة لبناء بور سعيد ، رمز المقاومة الشعبية المتصلة ، فأصدر المؤتمر الدائم لنقابات العمال فى الجمهورية المصرية النداء التالى (أيها الزملاء ، إن بورسعيد كانت ولا زالت وستزال حصن مصر الحصين للدفاع عن السلام والحرية ليس لمصر فقط ، بل وللعالم أجمع ، وأن الدماء الزكية الغالية التى أريقت من أجساد أهل بور سعيد لتروى شجرة الحرية ، للبشرية جمعاء ، هى دماء أبناؤنا وأخواتنا وفلذات أكبادنا .

إن بور سعيد التى قوضت أركان الاستعمار ، وقضت على أهدافه الاستعمارية الاستغلالية ، أصبحت مثلا أعلى للبطولة النادرة المصرية العالية والعربية الكاملة ، لقد شهدها أبطال العالم كله — وأشاد ببطولتها قواد الجيش فى أنحاء العالم . (واستطرد البيان) إن قصة بور سعيد ، وأهل بور سعيد وبطولة أهلها وبذلهم الدم والنفس والنفيس فى سبيل الذود عن كياننا واستقلالنا وعن حريتنا وكرامتنا ، وعن سيادتنا وعزتنا ، ليعجز عن وصفه البيان ، فلا أقل من أن نعمل لأجلهم —

ولهذا ، فإن المؤتمر الدائم لعمال جمهورية مصر ، يناشدكم جميعا ياعمال مصر الأوفياء ، المساهمة الفعالة لإخوانكم فى بور سعيد الذين قدموا أرواحهم ودماءهم وكل ما يملكون قربانا على مذبح الحرية ، للمحافظة على سيادتنا واستقلالنا وضد هجمات المعتدين المجرمين عنا . وذلك بأن يساهم كل عامل بأجر يوم من أيام العمل ، ولتكون هذه المساهمة فعالة وسريعة حتى نشد من أزرنا ونقوى من عزيمتنا ونعيد لهم الحياة المطمأنة التى كانوا يعيشونها ، وحتى يكون لنا نحن عمال مصر الأوفياء شرف المساهمة فى هذا المجد والفخار الذى سيبقى على مر الأعوام والسنين .

(صدر بتاريخ ١٠/١١/١٩٥٦) .

وأصدرت النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج والتريكو والصباغة وملحقاتها بالقاهرة وضواحيها نداءها الرابع إلى جميع الزملاء والزميلات يناشدهم فيه بدء معركة البناء لبور سعيد ، وهذا نص البيان .

زملائنا ، زميلاتنا :

إن انتصار شعبنا على الاستعمار الأنجلو فرنسى بفضل بسالة جيشنا ومقاومة مواطنينا البور سعيديين الذين كافحوا كفاح الأبطال ، وتأييد شعوب العالم ووقوفها بجانبنا .

زملائنا وزميلاتنا . . . إن تقديرنا واعتزازنا لكفاح مواطنينا البور سعيديين ، لا يمكن أن يمحى من أذهاننا ، إننا لن نبكى من استشهد منهم ، بل سنخلد ذكراهم .

إن كفاح مواطنينا البور سعيديين ، جعل من بورسعيد ستالينجراد ثانية فى تاريخ العالم) .

واستطرد البيان قائلا (زملائنا ، وزميلاتنا ، لقد قرر مجلس إدارة النقابة التبرع بأجر يوم من جميع العمال ، والنقابة تأمل ألا يكون تبرعكم

تنفيذا للقرار فحسب ، بل ترجو أن يكون التبرع نابعا من اقتناعكم ووطنيتكم ، نابعا من إيمانكم وتقديركم لشهداء وطننا فى أشرف معركة) .

ولم تمض أيام قلائل على إصدار النقابة بيانها ، حتى بلغ ما جمعه العمال أكثر من ألف ومائتى جنيه سلمها رئيس النقابة إلى رئاسة الجمهورية باسم الرئيس جمال عبد الناصر . وتمضى المعركة قدما ، إلى الأمام ، فيدفع العمال جزءا من قروشهم ، وبلغت تبرعات العمال مئات الألوف من الجنيهات جمعت من الشعب بأسره لإعادة تعمير بور سعيد الباسلة ، ودفع العمال الجزء الأكبر من هذه الملايين ونذكر على سبيل المثال :ـــ أن تبرعات العمال بكفر الدوار بلغت ١١,٢٠٠ جنيه . وذلك من نقابة عمال ومستخدمى شركة مصر للغزل والنسيج الرفيع . ومن الأسكندرية بلغت تبرعات عمال شركة الغزل الأهلية ٤٥٠٠ جنيها ، كذلك ٣٥٠٠ جنيها من عمال المنسوجات و ١٥٠٠ من عمال شركة سباهى . وتبرع عمال مصنع كتان الشرق بيوم كامل ، كما تبرع عمال المصنع المصرى للسجاد والقطيفة بأجر نصف يوم ومبلغ آخر يبلغ ٥٤٤ جنيها ، كما تبرع عمال شركة المناجم الإنجليزية المصرية بأجر نصف يوم آخر بلغ ١٥٠ جنيها ، كما تبرعت نقابة مستخدمى الطرق الصحراوية بمنطقة البحيرة بمبلغ ١٥٠ جنيها ونقابة عمال ومستخدمى شركة المنيا والبحيرة بمنطقة الصحراء بأجر يوم كامل ، وتبرعت نقابة عمال الترام بالقاهرة بمبلغ ١٨٠٠ جنيها . وتبرع العمال بشركة المحلات الصناعية بشبرا الخيمة بمبلغ ٦٠٠٠ جنيها مصريا ، وتبرع عمال النقل وعمال المحلة وكافة العمال فى أنحاء الجمهورية المصرية بالمال ، ويستعد العمال للمرحلة الثانية من المعركة ، وهى التطوع فى معسكرات العمل الاختيارية لنيل شرف المساهمة فى تعمير وبناء بور سعيد الباسلة ، رمز الحرية والاستقلال .

الفصل الخامس

العمّال العرب فى المعركة

وتحقق أول إنتصار لوحدة الشعوب العربية فى الكفاح ضد الاستعمار ، العدو المشترك لهم ، فى يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٥٥ ، وكان هذا الانتصار هو تكوين الاتحاد الدولى لنقابات عمال العرب ، حيث يعتبر إنتصاراً حاسماً لقضية الاستقلال والسيادة للشعوب العربية المكافحة ضد الاستعمار ، وضربة قاصمة للاستعمار العالمى . وقد عبر الدستور الذى أعلنه الاتحاد تعبيراً صادقاً على نضال وتصميم الشعوب العربية إذ جاء فيه أن الهدف الرئيسى للاتحاد هو القيام بالدور الايجابى لتحرير البلاد العربية من ذل الاستعمار وجاء فى مقدمة دستور الاتحاد :

العمال فى الوطن العربى — إيماناً منهم بوحدة الأمة العربية ورسالتها فى التحرر والوحدة والعدالة الاجتماعية . وبأن القضية العمالية فى الوطن العربى جزء لايتجزأ من تلك الرسالة ، وبأن نيل العمال حقوقهم الكاملة والمحافظة على هذه الحقوق هو رهن بتحرر الأمة العربية من الاستعمار والاستغلال والرجعية الاقتصادية والسياسية الاجتماعية — وبأن تحقيق هذه الأهداف القومية الكبرى والعمالية المقدسة ، لايتحقق إلا بتنظيم الحركة العمالية على أساس الوحدة القومية للعرب .

العمال فى الوطن العربى يؤمنون بحق الشعوب فى أن تقرر مصيرها ،

وأن تحكم نفسها ، كما يعلنون مؤازرتهم لكل حركة وطنية هدفها القضاء على الاستعمار ، ويؤيدون كل مجهود يبذل لنشر وتدعيم السلام .

إن العمال فى الوطن العربى ، إيمانا منهم بكل هذا ، يعلنون إنضمامهم فى اتحاد عالمى ديموقراطى يبنون به صرح مجدهم وعزتهم وحريتهم وتعاونهم وقوتهم .

وعبر الأمين العام عن الدور الرائع الذى يلعبه الاتحاد فى معركة التحرير فى رسالة موجهة الى عمال السودان نشرتها مجلة الطليعة لسان حال إتحاد عمال السودان ، حيث قال أن أول هدف الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ، الكفاح ضد المستعمرين والعمل على تطهير الوطن العربى منهم ومن عملائهم حتى يتحرر من كل شائبة تشوبه . وحتى يتمكن أهله من الحياة المطمئنة الهانئة واستطرد البيان يقول ، أن الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب أمكنه أن يصل ما عمله الاستعمار فى سنين طويلة من القطيعة بين الشعوب العربية ، ولم يستكمل ثلاثة أرباع العام منذ بدء تكوينه حيث بزغ فجر النور والعرفان ، وعرفت الوطن العربى الكبير مصالحهم الحقيقية ، والكفاح من أجلها ضد الاستعمار والمستعمرين .

وعبأ الاتحاد الدولى لعمال العرب الطبقة العاملة على نطاق البلاد العربية فى وحدة رائعة فى المعركة من أجل تحرير الأوطان العربية ، والمحافظة على سيادة الشعوب العربية . وأخذ الاتحاد يساند كل الحركات التحريرية ، وعندما أعلنت مصر إستعمالها حقها الشرعى فى إسترداد قناتها ، أرادت الدول الاستعمارية أن تقف ضد إرادة مصر ، وبدأت

هذه الدول تحبك مؤامراتها فى مؤتمر لندن لتدويل القناة وإعادة سلبها من مصر ، إزاء ذلك عبأ الاتحاد الدولى للعمال العرب كافة العمال فى البلاد العربية لمساندة مصر .

وفى البيان التالى نرى صورة حقيقية لنشاط العمال فى كافة البلاد العربية لتأييد مصر وشعبها وحكومتها فى صراعها مع قوى الاستعمار والعدوان ، وهذا نص البيان :

بيـان عام

من اتحاد نقابات العمال بالأردن

اخواننـــا العمال

فى يوم ٢٦ تموز (يوليو) أعلن الرئيس جمال عبدالناصر تأميم القنال ، ولقد كان هذا الاعلان فى حقيقته اعلان للعالم على أن الأمة العربية بدأت تشق طريقها لتأخذ مكانها بين أمم العالم ، وعلى أن مصير الأمة العربية يتقرر فى بلاد العرب ، لا فى أى بلد آخر ، وبيد أبنائها الاحرار ، لا بأية أيد أخرى ، وعلى أن للامة العربية ارادتها التى يجب أن تقدر وتحترم . هذه الارادة التى ظلت سنين طويلة مسلوبة لوجود الاستعمار وتحكم الرجعية وتقاعس المتخاذلين .

فى يوم ٢٦ تموز (يوليو) أعلن جمال عبد الناصر أن الزمن الذى كان فيه الأجنبى يقرر مصير الأمة العربية ويتحكم فى مقدراتها ويستغل خيراتها ، قد انتهى إلى غير رجعة .

أن يوم ٢٦ تموز (يوليو) هو يوم بدأت فيه الأمة العربية حياة جديدة . حياة لاتسمح فيه لأى أجنبى أن يتحكم الشعب ويقرر مصيره حياة حرة كريمة يشعر فيها العربى بأنه صاحب السيادة فى أرضه ، وأن ثروات وطنه ملك له لا لمصاصى دماء الشعوب وأعداء الحرية .

اخواننـــا العمال

لقد كان قرار تأميم القنال نتيجة تفاعل القيادة العربية الحرة مع جماهير الشعب الثائرة ، ونتيجة الايمان العميق بوحدة الأمة العربية ووحـــدة مصيرها ، ونتيجة الايمان القوى بحق الشعب فى الحياة الحرة الكريمة .

وقضية القنال مطروحة الآن على انها قضية عربية لاقضية مصرية ، وان الدول الاستعمارية تنظر إلى تأميم القنال لا على أنه انهاء لامتياز شركة ، بل على أنه بداية لانهاء النفوذ الاستعمارى وتصفية لاستغلاله فى الوطن العربى وفى العالم اجمع فنى معركة القنال ، تتجلى معركة الأمة العربية من أجل الوحدة والحياة الحرة الكريمة البعيدة عن كل تحكم واستغلال أجنبى .

فلتعلم فرنسا وانجلترا وأمريكا ، دول الاستعمار ، خالقة اسرائيل المتآمرة على حريات شعبنا العربى المستغلة لثرواتنا ، باننا سنقف صفا واحدا مدافعين عن حريتنا وسيادتنا وحقنا فى تقرير مصير أمتنا واستفادة من ثروات وطننا ، حتى آخر نقطة من دمنا ، ولتعلم باننا سوف نرد أى اعتداء على أى جزء من أجزاء وطننا العربى بعدوان أشد وأقسى .

ولتعلم فرنسا وانجلترا وأمريكا ، دول الاستعمار ، جلادة الشعوب ومصاصة دمائها ، والمتنكرة للقيم الانسانية ، باننا لن نسمح مطلقا لان تكون فى اراضينا نقاط لطائراتهم وقواتهم ، واننا لن نسمح لان يكون بترولنا وقود الحرب ضد اخواننا فى مصر ، ولتعلم دول الاستعمار بأن ابناء مصر ان يكونوا وحدهم فى المعركة ، بل سيكون فيها كل عربى فى أى جزء من الوطن العربى كان ، وان كل عربى سيقوم بواجبه القومى كما يجب ان يكون .

ايها الشعب الكريم

انك قد رسمت بدماء شهدائك ، وبنضالك الجبار ، خط السير لهذه الأمة نحو الوحدة والتحرر ، ويوم قاومت حلف بغداد الاستعمارى وأطحت بالمتآمرين عليك ، ويوم طهرت ارضك بقيادة المليك من ركيزة الاستعمار (ابوحنيك) . وانت اليوم مدعو لتثبيت هذه الخطوات والارتكاز اليها لتحقيق خطوات أخرى فى اتجاه الحرية والوحدة ، ودعم الاتجاه التحررى فى الوطن العربى . وذلك بتجنيد نفسك والاستعداد للمعركة الحاسمة مع الاستعمار ، معركة القتال .

عاش نضال العمال العرب من أجل الوحدة العربية .

عاش نضال العمال العرب فى سبيل احباط المؤامرات الاستعمارية .

عمان فى ١ — ٨ — ١٩٥٦ اتحاد نقابات العمال فى الاردن

واجتمع المجلس التنفيذى للاتحاد فى يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٥٦ وقرر الاضراب العام فى يوم ١٦ أغسطس ، ويعتبر هذا الاضراب الذى

عم البلدان العربية جميعها ، حدثا تاريخيا . ورسم الاتحاد خطة كاملة لمقاومة الاستعمار والاشتراك الفعلى فى حالة العدوان على مصر ، أو أى قطر من الاقطار العربية ، وأعلن الاتحاد قراراته المشهورة التالية على عمال العرب :

أولا — أن يمنع العمال العرب البترول فى كافة البلدان العربية من أن تتسرب أى نقطة منه أو مستخرجاته أو مشتقاته خارج حدود الوطن العربى بكافة الوسائل ، ولو أدى الامر إلى نسف وتدمير كافة الآلات والمنشآت فى حالة وقوع أى اعتداء على مصر .

ثانيا — مقاطعة شحن وتفريغ وتموين جميع السفن وطائرات الدول التى تعتدى على مصر أو تؤيد العدوان عليها .

ثالثا — تدمير كافة المطارات والمنشئات الحربية والاجنبية فى الوطن العربى للحيلولة دون استخدامها للعدوان على مصر .

رابعا — دعوة جميع عمال العرب للتطوع فى جيش التحرير الوطنى لرد أى عدوان يقع على مصر .

خامسا — مطالبة الحكومات العربية تجميد أموال وممتلكات الدول التى جمدت أو قد تجمد أموال وممتلكات مصر ، وكذلك سحب جميع أموالها وأرصدتها من مصارف تلك الدول .

سادسا — مطالبة الدول العربية بدعوة دول مؤتمر باندونج لمؤتمر عالمى لاتخاذ قرارات ذات طابع دولى لتأييد مصر فى موقفها التاريخى .

سابعا — إعلان الإضراب العام فى البلدان العربية يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ استنكارا لمؤتمر لندن وتعرضه لموضوع هو من صميم سيادة مصر على أراضيها .

ثامنا — توجيه نداءات إلى الاتحادات النقابية الوطنية والمهنية والدولية لمؤازرة مصر فى موقفها .

ولكن الاستعمار أراد أن يواجه العرب أكثر من جهة ، وقام الاستعمار الفرنسى بعمل إجرامى يتنافى مع كل القوانين والمواثيق الدولية ، بخطف الزعماء الجزائريين ، وقرر الاتحاد الإضراب العام فى كل البلدان العربية يوم ٢٨ أكتوبر استنكارا للفضائح التى تقوم بها فرنسا الاستعمارية ضد الشعب العربى فى الجزائر ، وبخطفها الزعماء الجزائريين ، وأرسل الأمين العام للاتحاد الدولى للنقابات والعمال العرب البرقية التالية إلى رئيس وزراء فرنسا .

(العمال العرب جميعا ، يستهجنون أعمال القرصنة التى تقوم بها فرنسا وخرقها المبادىء الدولية ، إن حياة الزعماء الخمسة الجزائريين ، ستفتدى بحياتنا ، يجب إطلاق سراحهم فوراً حفظا للسلام العالمى ٢٥/١٠/١٩٥٦ الأمين العام) .

والاستعمار الذى أصبح يترنح تحت ضربات شعوب الشرق الاوسط والذى أصبحت وحدة هذه الشعوب خطراً داهما يهدد كيانه ، أراد أن يثأر من هذه الشعوب ، ووجه فى هذه المرة ضربته إلى مصر ، القلب النابض للبلاد العربية ، إلى الرمز الحى لانتصارات العرب الذى إذا أصيب بأذى ، أصاب كل البلاد العربية ، وهذه الضربة أساساً كانت موجهة إلى وحدة الشعوب العربية . إلى وحدة عمال العرب . وفى الوقت الذى كانت العصابات الصهيونية تهاجم مصر ، كانت الدولتان العريقتان فى الاستعمار ، انجلترا وفرنسا ، يوجهان انذارهما بالتدخل والعدوان على مصر

وفعلا تحركت أساطيلها وجيوشها الاعتداء على مصر العربية . وفى هذا الوقت بالذات تحركت هيئة اركان حرب الطبقة العاملة، تحركت قلعة عمال العرب ،تحرك الاتحاد الدولى لنقابات عمال العرب، فوجه إنذاراً شديداً المعتدين، وأعطى للعمال فى البلدان العربية إشارة التحرك فى بيانه التالى .

« إن الوقفة المجيدة التى تجلت فى إضرابكم الشامل يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ احتجاجا وسخطا على مؤامرات الاستعمار فى لندن ضد مصر العربية وهى تباشر سيادتها الكاملة بتأميم شركة قنال السويس، هذه الوقفة التاريخية ، كانت ردا عمليا على الغرب المتآمر على حرية الشعوب وحقوقها المشروعة فى استثمار مرافقها لخير اهلها .

إن اضرابكم الذى شمل وطنكم الكبير من الخليج العربى حتى شاطىء الاطلسى ، قد زعزع كيان الدول الكبرى التى تحسب أنها لاتزال قادرة على تقرير مصائر الشعوب الطامحة إلى الحرية ، وقد عرف العالم أجمع بهذا الاضراب ، أن الأمة العربية اليوم ، غيرها بالأمس، وأن مايصيب أى جزء منها ، انما يصيب كل الوطن العربى .

أيها العمال العرب

لقد أقمتم الدليل على أن صفوفكم المنتظمة المتحدة لم يبق فيها مكان لخائن أو متخاذل سلبى فكانت غضبتكم السلمية بداية مرحلة جديدة فى تاريخ هذه الأمة ، مرحلة تصفية الاستعمار والاستغلال فى كل شبر من الوطن العربى الكبير ، حيث عقدتم العزم على أنكم ستقفون فى اليوم الخطير مثل هذه الوقفة فى الصدارة من المعركة الحاسمة ، لتكيلوا الضربات القاصمة الاستعمار والاستغلال فى شتى أنحاء الوطن العربى .

لن يكون هناك إضراب أو احتجاج ، وإنما سنمضى نحن العمال العرب ، فى حشود ضخمة حاملين السلاح لندافع عن قناة العرب ونحارب عن كل مرفق للعرب ، حتى نخلص أرض العرب للعرب وحتى تستخدم ثرواتها لخير العروبة . . . فلن يحكمنا بعد اليوم أجنبى ، ولن يستغل خيراتنا دخيل ، فنحن أمة عربية ، ثرواتها وحدة كاملة ، وقوتها العمالية كتلة واحدة ، تندفع (دائما بقوة إلى الأمام) .

وبعد ساعات من الاعتداء الغادر على مصر العربية ، وجه الاتحاد ندائه ، وطالب العمال فى الدول العربية ، وضع قرارات الاتحاد موضع التنفيذ .

نداء من الاتحاد العام لنقابات العمال العرب

إلى عمال العرب فى كل مكان

أيها الإخوة الأبرار

ياعدة الزمن وعتاد الوطن

أيها العمال العرب الأمجاد

من القاهرة ، ومن تحت سمائها الصافية ، التى تموج بطائرات البغاة والمعتدين ، يدوى أزيزها فى ظلام يفرضوه ، وبين انفجارات قنابلهم المحرقة والمدمرة ، يعيش إخوانكم ، وإخواتكم فى مصر ، لن تلين قناتهم أو يتأثر عزمهم ، فيقبلوا مايطلبه المستعمرون الغاشمون من ترك وطنهم نهبا لهم ، نهبا للمستعمرين ولهذه العصابات الصهيونية الغادرة ، وكأنهم لم يخجلوا ولم يرعووا بما فعلوه بفلسطين الشهيدة وبعرب فلسطين الأبرياء .

نعم ، كأنهم لم يشعروا بفداحة جرمهم وشناعة جريمتهم ، لا ضد العرب وحدهم ، بل ضد الانسانية بتشريدهم وحرمانهم وتجويعهم لهؤلاء الأخوة الأعزة . إنها قصة الغدر والجريمة التى سيرويها الزمن ، والتى ستبقى وصمة عار فى جبينهم ، فى جبين هؤلاء المستبدين المتجبرين .

كان رد عمال العرب الأمجاد ، هو موضع التنفيذ الفعلى ، فحولوا بترول بلادهم الذى كان يتمتع به الاستعمار لمدة طويلة ، لهيبا ، ويحرق جسد الاستعمار المتعفن ودمروا معسكراتهم فى البلاد التى مازالوا يحتلونها وطالعتنا الصحف بأنباء تحركات كتائب التحرير للعمال العرب فى كل مكان من أرض الوطن العربى الكبير ، منفذين قرارات ١٠ أغسطس التاريخية ، فنشرت جريدة الجمهورية الصادرة فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وتحت عنوان بارز «نسف أنابيب البترول» (بدأ العمال العرب فى تنفيذ قرار اتحادهم بمنع تسرب البترول إلى الدول المعتدية وأخذوا فى تهديد القواعد العسكرية الأجنبية فى بلادهم ، وقاطعوا سفن العدو وطائراتهم) ثم استطردت الجريدة تقول (أن العمال العرب فى طرابلس قاموا بتخريب أنابيب البترول ورفضوا شحن سفينة من سفن البترول) . وطالب العمال فى العراق المسئولين لمنع البترول عن القراصنة وأنذروهم بتدمير آبار البترول إذا لم ينفذ هذا الطلب فورا . ووجه رئيس اتحاد العمال فى الأردن الشقيقة نداء إلى العمال من محطة الاذاعة الحكومية ، دعاهم فيه إلى تنفيذ قرارات الاتحاد وجاء إلى أمين عام الاتحاد الدولى لنقابات عمال العرب البرقية التالية :

من الاتحاد الليبى العام للعمال بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وهذا نصها:

(نفذنا القرار الثالث)

الامضاء رئيس الاتحاد الليبي العام للعمال سالم شيته

وجاء من نقابة عمال النفط بسوريا الأمانة العامة للاتحاد ، البرقية التالية (سننفذ مقررات مؤتمر العمال العرب الخاصة بالبترول فى حين تنفيذ الانذار الموجه من فرنسا وانجلترا إلى مصر ، أفيدونا برقيا . رئيس النقابة عمر السباعى) . وردت الأمانة العامة للاتحاد فى نفس اليوم بالبرقية التالية (تنفذ مقررات الاتحاد عند وقوع الاعتداء على مصر . الأمين العام ، فتحى كامل) . وأرسل اتحاد نقابات عمال سوريا بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦ البرقية التالية (نحن إلى جانبكم حتى النهاية . عمال سوريا الموقعون بالتزاماتهم مستعدون للسير معكم جنبا إلى جنب فى أى ميدان . يعقد مندوبو سوريا ولبنان والأردن إجتماعا خاصا لبحث مايجب القيام به مجددا الويل للمستعمرين المعتدين . والنصر لنا جميعا . رئيس اتحاد نقابات العمال العام بسوريا ، صبحى الخطيب) .

ولم يكتف عمال ليبيا الأمجاد بتنفيذ مقررات الاتحاد الثالث فحسب بل قام الفدائيون من العمال فى طرابلس الغرب بضرب مطار إدريس الأول ، وهو مطار انجليزى ، وفى بنغازى ، دمروا مخازن البترول وقاطع العمال باخرة محملة بالأسلحة كانت قادمة من أوروبا إلى ميناء بنغازى ، وتركها العمال دون أن يقدموا لها أى مساعدة . وفى الأردن نسف العمال أنابيب البترول أيضا . وفى العراق ، وفى المملكة السعودية رفضوا تموين الدول المعتدية بالبترول، ونتيجة ذلك أصيب الاستعماريون بشلل فى قواتهم العسكرية والمدنية ، وأصبحوا فى مركز لا يستطيعون معه الاستمرار فى القتال إلى فترة طويلة . كما نفذ العمال فى البحرين ، والكويت ، قرارات الاتحاد بتدمير منشئات البترول بهما .

وحضر فى أتون المعركة إلى مصر ، السكرتير العام لاتحاد عمال السودان . ومن القاهرة ، أرسل إلى عمال السودان النداء التالى بعنوان احملوا السلاح يا أبناء السودان :

اليوم فى سماء بور سعيد ، واليوم على أرض بور سعيد ، واليوم على مياه بور سعيد ، تدور معـــركة عادلة من جانب أبناء وأمهات بور سعيد ، باطلة خاسرة من جانب قوات الدمار والطغيان ، معركة بين أنصار الحرية واعداء الاستعمار والذل والهوان شعب بورسعيد ، وبين أنصار الوحشية والبربرية وأعداء السلام ، معركة حامية قوية يخوضها العامل فى بور سعيد يحمل السلاح مع أخيه التاجر والجندى يصرع به قوات العدو المعتدى الخ . . ؟

واجتمعت اللجنة التنفيذية لاتحاد عمال السودان صبيحة الاعتداء الغادر على مصر ، وأصدرت بيانات لـكل العمال السودانيين تهيب فيها بهم ، أن يستعدوا لخوض المعركة مع مصر ، وإن يجندوا كل امكانياتهم لرد العدوان . وفى ثانى يوم الاعتداء ، خرج كل العمال عن بكرة أبيهم فى موكب ضخم سار فى طليعته أعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد ، وسلموا مذكرة لمجلس الوزراء تحمل ستة بنود :

١ ـــ قطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا
٢ ـــ قفل المطارات والموانىء أمام سفن وطائرات العدو
٣ ـــ إعلان التعبئة العامة
٤ ـــ إرسال المتطوعين إلى مصر
٥ ـــ إرسال المعونة المادية

٦ — إرسال فرقة من الجيش للوقوف جنبا إلى جنب مع الجيش المصرى .

وعلى أثر هذا ، أضرب العمال وخرجوا فى مواكب تلعن اجرام المعتدين وتطالب الحكومة بتنفيذ تلك البنود . وقام عمال وموظفوا المطار وعمال شركات الطيران باضراب لمدة أربعة أيام ورفضوا إرشاد الطائرات الانجليزية والفرنسية . واشتركت الطبقة العاملة فى السودان فى هبة التضامن مع مصر لجمع التبرعات . وافتتح الاتحاد فى السودان مركزاً للتطوع والتدريب . وكان لهذه الأعمال صداها فى الأقاليم المختلفة فى السودان ، فصارت المظاهرات وأقيمت الليالى السياسية لمساندة مصر .

ولم يقف نشاط الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب عند حد التعبئة للعمال فى البلاد العربية فحسب ، بل قام بنضال سياسى فى غاية الأهمية وأرسل بعديد من الاحتجاجات إلى الجهات العالمية المختلفة ، وهذا نص البرقية التى أرسلتها الأمانة العامة للاتحاد إلى سكرتير هيئة الأمم المتحدة وذلك على سبيل المثال .

(يجب أن يتخذ مجلس الأمن إجراء سريعا ضد اسرائيل لاعتدائها على مصر ، فالعمال العرب من الخليج الفارسى حتى المحيط الاطلسى مصممون على الدفاع عن مصر وعن غيرها من الدول العربية ضد أى اعتداء مهما كان شكله حتى آخر رجل منهم) .

ويستعد الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب إلى عمل مجيد تشترك فيه كل القوى العمالية فى البلاد العربية . هذا العمل هو تعمير بورسعيد ولا غرابة فى ذلك ، فالدور الذى قام به العمال العرب فى مساندة مصر

لابد أن يتوج بهذا العمل ، وأن يكون خاتمة تبرز إلى حد كبير مدى التضامن بين الطبقة العاملة فى البلاد العربية . وعليه سيرسل الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب دعوة إلى اتحادات العمال العربية يطلب منهم فيه المشاركة الرمزية فى بناء بور سعيد ، تخليدا لهذه المناسبة ، وليشهد العالم أجمع أن قوى السلم هى المنتصرة وأن قوى السلم تبنى من جديد مادمره تجار الحروب .

إن قوى السلم لن تهزم أبدا . . . أيها العمال العرب ، ارفعوا راية الوحدة عالية بسواعدكم القوية ، والمجد والعزة للشعوب العربية .

* * *

الفصل السادس

عمال العالم يتضامنون معنا

وقفت الطبقة العاملة العالمية بجانبنا بصفة دائمة وفى كل مراحل كفاحنا الوطنى ضد الاستعمار لأن العمال فى كل مكان أكثر الناس إدراكا لأهمية تحرر الشعوب وأهمية صيانة السلام العالمى ومدى أهمية تدعيم الاستقرار فى المناطق المختلفة فى العالم ، وإزالة حدة التوتر الدولى وتدعيم مبدأ التعايش السلمى وذلك ليبنوا ويصنعوا للحياة والسلام فى طمأنينة .

والعمال فى العالم ممثلين فى الاتحاد العالمى للنقابات ، وفى نقاباتهم وفى اتحاداتهم ، أيدوا كفاحنا الوطنى ووقفوا بجانب شعبنا ضد أعدائه ، وفى الدورة الخامسة للمجلس العام لاتحاد النقابات العالمى الذى عقد من ١٥ إلى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٥١ ، اتخذ المجلس القرار الآتى تأييدا لكفاح شعبنا المسلح ضد قوات الاحتلال فى القنال . (باسم ثمانين مليونا من العمال المنظمين فى العالم أجمع يحيى المجلس العام لاتحاد النقابات العالمى الشعبين المصرى والسودانى المكافحين بشجاعة من أجل حريتهما واستقلالهما الوطنى .

إن الكفاح الذى تقوم به الكتل الكادحة ضد الاستعمار الانجلو أمريكى ، هو فى الوقت نفسه كفاح من أجل القضاء على البؤس وعلى

ظروف الحياة القاسية التى نتجت فى جانبها الاكبر — عن السيطرة الفعلية للاستعمار الاجنبى . واستطرد القرار قائلا ويدعو المجلس العام جميع المنظمات النقابية ، وجميع العمال فى العالم أجمع. إلى تأييد الشعبين المصرى والسودانى بكافة الطرق فى كفاحهما العادل من أجل الدفاع عن حريتهما ، واستقلالهما الوطنى ضد الاستعمار الانجلو امريكى الذى يعمل على تهديد السلام العالمى عن طريق احتلاله لأرض القطرين ، وبواسطة ما يفرضه من ضغط من أجل اجبار الشعبين على قبول معاهدات عدوانية (ميثاق البحر الأبيض — القيادة العسكرية الموحدة). ويستنكر اتحاد النقابات العالمى أعمال القوات البريطانية التى تستخدم قوة السلاح لاجبار العمال المصريين على العمل فى منطقة قناة السويس لخدمة الاستعماريين البريطانيين » .

هذا موقف الطبقة العاملة العالمية أثناء نضال شعبنا لطرد قوات الاحتلال من أجل الاستقلال والسيادة .

إن العمال ، فى كفاحهم من أجل التحرر والسلام ، يقفون فى وحدتهم الرائعة بجانب كفاح شعبنا وعندما تتآمر قوى الشر من الاحتكاريين الاستعماريين فى انجلترا وفرنسا على مصر ، وتعتدى على سيادتها واستقلالها ، وتقوم بقتل السكان المسالمين ، وتخرب وتدمر بقنابلها المدن والقرى الآمنة فى مصر ، فى هذا الوقت بالذات ، تقف الطبقة العاملة الانجليزية والفرنسية بجانب الشعب المصرى . لأن الذين يريدون ان يعيدوا استغلالهم واستعمارهم على الشعب المصرى ، هم الذين يستغلون أيضا الطبقات العاملة فى انجلترا وفرنسا أبشع استغلال . وبمجرد

الاعتداء الغادر على بلادنا ، وجه المجلس القومى للعمال فى انجلترا الدعوة للنقابات والجمعيات التعاونية كى يقوم الجميع بحملة ضد العدوان على مصر وأصدرت جميع النقابات البريطانية قرارات تستنكر العدوان ، وعقد اتحاد النقل الذى يضم مائة وعشرة آلاف عامل اجتماعا افتتحه سكرتير الاتحاد بقوله « إننى أطلب باسم مائة وعشرة آلاف عامل ، بوقف العدوان على مصر » وعقدت الجمعيات التعاونية البريطانية التى تضم أكثر من مليون عضو ، اجتماعا فى أول نوفمبر اتخذت فيه قرارا باستنكار العدوان .

وفى فرنسا ، لم تكن الطبقة العاملة هناك أقل حماسا ضد الاعتداء الغادر ، فشمل الاضراب مصانع الطائرات فى وارسولت وفوزان وفى محطات القوى الكهربائية وفى مصانع س . ك . ف . وهسيانو وعمال كولومبو ومصانع السفن فى لاسيوتا . كما أضرب عمال المناجم فى ديسمارون «وعمال الشحن والتفريغ فى آلبونى سيرمير» وأعلن عمال البلدية فى باريس الاضراب احتجاجا على العدوان . وبمجرد الاعتداء على مصر ، أرسل الاتحاد العالمى للنقابات فى ١٩٥٦/١١/٢ برقية إحتجاج شديد ونداء إلى العمال فى العالم ، يدعو إلى التآزر والتآلف مع الشعب المصرى ، وهذا نص البرقية (نحتج بشدة على العدوان المشين الذى وجهته حكومات بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ضـــد مصر وشعبها ، إن البشرية بأسرها تستنكر هذا التدخل العسكرى العنيف وتعده عملا وحشياً إرتفعت ضده أصوات الاستنكار والاحتجاج من العالم فى جميع ربوع العالم ، إن الاتحاد العالمى يحنى رأسه فى حزن وأسى على ضحاياكم فى هذه الحرب الاستعمارية الجديدة ، ويؤكد لكم التأييد التام

من العمال فى كل مكان ، إن الاتحاد العالمى بعث بنداء إلى العمال فى مختلف أنحاء العالم بغير تمييز يناشدكم فيه التآلف والتآزر لوضع حد لهذا الاستعمار المشين) .

وقد رد الأمين العام للاتحاد الدولى لنقابات عمال العرب بالبرقية التالية (تسلمنا برقيتكم التأييدية وطائرات الاستعمار فى سماء مصر تقذف بقنابلها على مدن وقرى بلادنا ، فتقتل الأطفال والنساء والشيوخ ورغم هذا الهجوم ، فإننا نقف جيشاً وشعباً بعزم وصلابة ضد هجمات المعتدين المتوالية . إننا نرى فى إعتداء بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر إعتداء على جميع العالم ، فلا غرابة إذا ما وقف عمال العالم وكل الأحرار معنا ، لذا فنحن بجانب تأييدكم لنا ، نرجو وقوفكم معنا فى هذه المعركة لنصرة السلام من وحوش البشرية المفترسة . إننا سنقاتل فى قوة وثبات ضـــد أعدائنا وأعدائكم ، فخوضوا معنا هذه المعركة لنقضى على قوات الشر والعدوان ونصون الأمن والرخاء فى العالم أجمع. إن النصر لنا ، والموت والفناء لتجار الحروب ، أعداء البشرية) .

ولم يكن موقف الاتحاد العالمى متوقفاً على البرقية الأولى ، ولكنه استمر فى عزم شديد لتعبئة الطبقة العاملة فى العالم لنصرة النضال المبين لشعبنا ، وأرسل الاتحاد العالمى البرقية التالية بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٧ (تمت أعمال الاجتماع الحادى والثلاثين للمكتب التنفيذى لاتحاد العمال العالمى بقراءة برقيتكم بتاريخ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ . فنفيدكم بالقرارات التى اتخذت والخاصة بالإعتداء ضد مصر وهى :

أولا : حتى يتسنى للقوات المعادية الرحيل فوراً عن مصر طلب المكتب التنفيذى من جميع العمال والنقابات فى كافة البلاد أن يشدوا

العمل فى هذا الصدد قبل الكتل العاملة فى الحكومات وفى الأمم المتحدة

ثانياً : حثهم أيضاً أن يزيدوا فى جمع التبرعات والأغذية والأدوية لصالح الشعب المصرى . وقرر أن يبرهن حالا عن تكاتف الاتحاد العالمى وأن يرجو منكم قبول خمسة آلاف جنيها إسترلينيا لضحايا الغارات المدنيين .

وفى إقرار له يطلب كذلك المكتب التنفيذى من الدورة الحادية عشر للجمعية العمومية للأمم المتحدة أن يرغموا الحكومات المعتدية على تعويضات لخسائر الحرب التى أوقعتها على الشعب المصرى (من عمارات تهدمت ومعاشات للأرامل واليتامى ومشوهى الحرب) ، وترسل لكم بريد خاص نص القرارات التى اتخذت اليوم بواسطة المكتب التنفيذى .

تحياتى الأخوية

وفى يوم ٢٤ / ١١ / ١٩٥٦ ، أرسل الاتحاد العالمى للنقابات البرقية التالية :

(تأييداً لقرار المكتب التنفيذى لاتحاد العمال العالمى عن التكاتف مع النقابات والعمال المصريين ، نخبركم أننا قد حولنا لكم مبلغ ٥٧٩٠٠ فرنك سويسرى بما يعادل ٥٠٠٠ جنيها إسترلينيا بواسطة إتحاد البنوك السويسرية بجنيف ، ونكرر إحساساتنا الأخوية فى التضامن مع كفاح العمال والشعب المصرى ضد الاعتداء ، ويعضد عمال العالم بأسره كفاحكم المشروع لاستقلال مصر ونبعث إليكم بخالص تحياتنا الأخوية) وسلم المبلغ إلى سيادة رئيس الجمهورية الرئيس جمال عبد الناصر الذى حوله مشكوراً إلى الجهات المختصة لإنفاقه .

وعقـــد المجلس التنفيذى فى يوم ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، إجتماعا ببراغ ، وقرر أن ينظر أول مسألة فى جدول أعماله ، وهى نتائج الاعتداء ضد مصر ، وتنمية العلاقات والتكاتف من جانب الاتحاد العالمى للنقابات مع النقابات فى البلاد العربية .

وكانت إستجابة التنظيمات النقابية والعمالية فى العالم على نداء الاتحاد العالمى لتأييد مصر والوقوف بجانب الشعب المصرى المناضل . إستجابة رائعة وقوية ، فقد أرسلت النقابات والاتحادات المحلية برقيات تأييد ومساعدات جليلة للشعب المصرى . وأرسل الاتحاد العام لعمال الصين إلى سكرتير المؤتمر الدائم بالبرقية التالية (جميع عمال الصين يستهجنون الاعتداء الغاشم الذى تقوم به الجيوش الانجليزية والفرنسية على مصر أن هذا الاعتداء الغادر على الشعب المصرى لا تسمح به الإنسانية . بالنيابة عن جميع عمال الصين ، نؤيد الشعب المصرى بكل قوة للدفاع عن حريتكم القومية بزعامة بطلكم جمال عبد الناصر ... إننا نؤكد لكم بكل إخلاص أن النصر فى النهاية للشعب المصرى) .

ورد عليهم سكرتير المؤتمر الدائم بالبرقية التالية (باسم جميع العمال المصريين فى جمهورية مصر ، أشكركم عظيم الشكر لتأييدكم لنا ضد الاعتداء البربرى على مصر ، إننا سنستمر فى نضالنا الشديد بعزم وصلابة إلى أن نحقق النصر من أجل السلام والعدالة والحرية . نحن نأمل أنكم ستساهمون بعمل إيجابى معنا لحفظ السلام والحرية للجميع) .

ولم تقف جهود الطبقة العاملة الصينية عند تعبئة قواتها فحسب ، بل عبأت كل قوى شعب الصين المجيد ، وتم تكوين اللجنة الصينية

لمساعدة مصر ، وأرسل الاتحاد العام الصينى بتاريخ ١٥ / ١١ / ١٩٥٦ البرقية التالية إلى سكرتير عام المؤتمر الدائم لنقابات عمال مصر :

(يسرنى جداً أن أخطركم أن اللجنة الصينية التى تكونت لمساعدة مصر فى مقاومتها العدوان ، قد تم تشكيلها يوم ٨ / ١١ / ١٩٥٦ ، وقد اشترك إتحاد نقابات عمال الصين بمجهود كبير فى هذا العمل وقد انتخب رئيس الاتحاد « لاى جيو » عضو مكتبها التنفيذى ، كما انتخب نواب الرئيس « ليان شى وشو شوفان » وأنا وأعضاء اللجنة سنعمل أقصى مافى وسعنا للدعوة وتنظيم القوى العمالية جميعها بعمل إيجابى فعال فى كفاحه البطولى) .

وأرسل اتحاد عمال نسيج الصين الشعبية إلى رئيس اتحاد نقابات عمال الغزل والنسيج بمصر البرقية التالية (أنه بالرغم من معارضة شعوب العالم ، جرؤت انجلترا وفرنسا على شن هجوم مسلح كبير على مصر ، مؤيدة الهجوم الاسرائيلى . وقد حذرنا حكومتى انجلترا وفرنسا من هذا العمل الإجرامى وطالبناهما بإيقافه فوراً وحل مسألة قناة السويس بالمفاوضات السلمية . ونحن نؤيد بشدة الشعب المصرى الذى يقاتل فى سبيل سيادته القومية وحريته فى سبيل تحقيق السلام العالمى) .

كما قامت الطبقة العاملة الصينية بالعمل ثمانى ساعات إضافية من أجل مصر .

وقامت الطبقة العاملة السوفيتية بدور جبار لمناصرة كفاحنا ومساعدة شعبنا ، وعقدت المؤتمرات والاجتماعات فى الميادين والشوارع والمصانع لتأييد الشعب المصرى ، كما قرر الشعب السوفييتى إرسال متطوعين ليقاتلوا بجانب شعبنا ، وقرر العمال العمل ساعات إضافية لمصر ، وقدمت الطبقة العاملة السوفيتية مساعدات قيمة إلى شعبنا ، عبر

عنها الدكتور ميلوف مندوب الصليب الأحمر السوفييتى ورئيس البعثة التى جاءت إلى مصر تحمل هدية الشعب السوفييتى إلى شعب مصر المناضل بقوله : « اسمحوا لى أن أحييكم نيابة عن الشعب السوفييتى وأن أحيي فيكم الشعب المصرى ، إن مصر اليوم على ألسنة الجميع فى بلادى يذكرها الناس فى كل مدينة وقرية ومزرعة ومصنع ، ونحن نتحدث عنكم ونفكر فيكم . إن الشدائد تظهر الصداقة ، ولذلك فاننا نذكركم فى هذه الظروف التى تعرضتم فيها للعدوان الغادر ، واستطرد الدكتور ميلسوف يقول ، منذ اللحظة التى ألقيت فيها القنابل على بلادكم إكانت قلوبنا معكم وأجمعنا على مساعدتكم ، وعقدت اجتماعات كثيرة عبر فيها الشعب السوفيتى عن سخطه على المعتدين الذين أرادوا الاعتداء على حيانكم وسلب استقلالكم ، وأن الاتحاد السوفييتى كله رجل واحد ضد المعتدين يطالب بانسحابهم من مصر . وقد أجمع الملايين من أبناء الاتحاد السوفيتى على تقديم هذه الهدية للشعب المصرى تعبيراً عما يكنه له من تقدير وتأييد وصداقة ، وفى وقت قصير ، جمع الشعب السوفييتى ٥٠ مليون روبل اشترينا بها هذه الهدية ، ونحن نأمل أن تساعدكم هديتنا فى تخفيف ويلات الاعتداء . وختم الدكتور ميلسوف كلمته قائلا ، المجد للشعب المصرى ، الشعب العملى ، الشعب المحارب ، لتحي الصداقة بين الشعبين المصرى والسوفييتى » .

وكانت الهدية مكونة من ٣٠٠٠ طن قمحا ، ونصف مليون علبة أغذية محفوظة ، وأدوية وعقاقير طبية قيمتها ٣ ملايين روبل ، وأدوات جراحة وأجهزة طبية قيمتها ٦٠٠ روبل ، ومستشفى كامل المعدات

يسع ٣٠٠ سرير بكل ما يحتاج إليه من أغطية ومفروشات ، و ١٥ خيمة مستشفى متنقل ، و ١٠ سيارات إسعاف .

وعبر السكرتير العام للمؤتمر الدائم الزميل فتحى كامل تعبيرا صادقا عن شعور الطبقة العاملة المصرية نحو العمال الأمجاد فى الاتحاد السوفيتى فى برقيته التالية :

(باسم عمال مصر ، يسعدنى أن أتقدم إليكم بخالص الشكر على هذه الروح الأخوية التى لمسناها منكم أثناء وقوع الاعتداء الذى استنكرته الشعوب المحبة للسلام فى العالم ؛ والذى كان للاتحاد السوفيتى شعبا وحكومة أكبر الأثر فى وقوفه لمساعدة الشعب المصرى وتأييده فى حقه الواضح الذى حاول المستعمرون عن طريق ضيعتهم إسرائيل التى أقاموها فى قلب الوطن العربى وفى صميم الشرق الأوسط لتكون أداتهم الفعالة لاستعمار هذه النقطة ، ولاستعباد شعبها وامتصاص دمائهم وأرزاقهم .

إن موقف الاتحاد السوفيتى شعبا وحكومة ، وصلابتهم وعزمهم على مقاومة هذا العدوان على حريات الشعوب وسيادتها ، واستعداد المتطوعين منهم لبذل دمائهم فى سبيلنا ، وعطف العمال وتبرعهم لنا ، وثورة شعبكم من أجل الدفاع عنا ، لجديرة بأن تخلد فى صفحات التاريخ ، لحفظ السلام والحرية فى بقاع الأرض .

نرجو أن تنوبوا عنا فى تحية كل إنسان حى فى الاتحاد السوفيتى ، وقولوا بأننا سننتصر مادام الحق فى جانبنا ، وحى السلام يشدون أزرنا) .

كما كانت كلمة الدكتور منصور فهمى رئيس الهلال الأحمر ، أبلغ تعبير عما يكنه شعبنا من الحب والصداقة للشعوب السوفيتية ، إذ قال

(أعرب عن تقدير مصر للعواطف النبيلة التى أظهرها الشعب الروسى وقال أن بطولة الشعب يستمدها من قائده وزعيمه الكبير جمال عبد الناصر ، وقد قوى هذا الشعور ، هذه البسالة ، وشعور الشعب المصرى نحو أحبائه وأصدقائه الذين يقدمونه ويقدرون محبته للسلام) .

وأرسل عمال تشيكوسلوفاكيا تأييدهم للشعب المصرى ببرقية أرسلها رئيس نقابة عمال تشيكوسلوفاكيا إلى سكرتير المؤتمر الدائم لنقابات عمال جمهورية مصر قائلا :

(يؤكد النقابيون التشيكوسلوفاكيون أنهم سيعملون مافى وسعهم لمساعدة كل القوات المحبة للسلام فى كل العالم ، والقيام بجميع التكتلات العمالية فى العالم أجمع . أن كل الأعمال المجرمة من المعتدين المستعمرين يجب أن توقف فورا ، وأن عمل بلادنا يحيون القرار الجديد للجمعية العمومية الغير عادية للأمم المتحدة لايقاف الأعمال الحربية وخروج القوات العسكرية الغربية من الأراضى المصرية ، وينتظرون فى نفس الوقت من الجمعية للأمم المتحدة أن تتخذ عملا حازما لتأكيد الاستقرار السريع والسلام . إن عمال تشيكوسلوفاكيا يعبرون فى هذه اللحظة العصيبة على شعبكم ، تضامنهم وتكاتلهم فى صراعهم العادل ، وأنهم يقفون باستمرار فى جانبكم أيها الأصدقاء الجمعين) .

كما أرسل عمال كوريا الشعبية الأبطال الذين هزموا جيوش أمريكا وجيوش الانجليز والفرنسيين ومعهم جيوش ١٦ دولة أرادوا غزو بلادهم ، ووقفوا على رأس شعبهم ببسالة من أجل الدفاع عن سيادة بلادهم برقية تعبر عن مدى ما تكنه الطبقة العاملة الكورية من حب وعزم فى مشاركتنا الكفاح ضد العدو المشترك ، وهذا نص البرقية :

(اتحاد نقابات العمال الكبرى يرسل كل تأييده لهذا الكفاح العادل الذى تقوم به البلاد العربية ، لتأييدهم الشعب المصرى فى كفاحه من أجل حريته واستقلاله ضد هذا العدوان المسلح من انجلترا وفرنسا واسرائيل . ليس فقط ضد الشعب المصرى ، بل أنه ضد محبى السلام فى شعوب آسيا وأفريقا ، ومحبى السلام فى العالم أجمع ، كما أنه ضـــد المثل العليا لمئات الملايين من الناس فى جميع أنحاء العالم . إن اعتداء انجلترا وفرنسا واسرائيل سيلقى الخزى والعار والهزيمة كما يلقاه المستعمرون الأمريكان وسنجمان رى وتشيانج كاى شيك الذين يعملون ضـــد الشعب الكورى . نحن متأكدون تماما أن الأقطار العربية ستحرز انتصارا باهرا فى كفاحهم العادل لتأييدهم الشعب المصرى)

وأرسل المجلس المركزى لنقابات عمال البانيا إلى المؤتمر الدائم لنقابات وعمال جمهورية مصر ببرقية هذا نصها (عمال جمهورية البانيا مع جميع عمال العالم ، يستنكرون من الأعماق الإعتداء الوحشى الانجلو فرنسى على الأراضى المصرية لإعادة الاستعمار على بلادكم ، ولاختلاف وسيلة للتدخل الأجنبى وإيجاد حالة توتر عالمى . إن الانسانية المتقدمة لتعرف أن تأميم قناة السويس كان عملا قانونيا حقا يسترد به الشعب المصرى حقه ويتخلص من السيطرة ويعيش فى سلام متمتعا بحريته محتفظا بسيادته التى أخافت الاستعماريين فاستخدموا القوة ضد شعبكم الآمن بعدان ضغطوا عليه اقتصاديا وعمال البانيا يضمون صوتهم إلى أصوات عمال العالم ، ويدينون الاعتداء الانجلوفرنسى ضد دولتكم المستقلة ، ويعتبرونه خرقا صريحا لميثاق الأمم المتحدة واحترام حقوق السيادة . وعمال البانيا

واقفون تماما من نصرة قضيتكم ، ويؤكدون تضامنهم معكم فى كفاحكم من أجل الحرية والاستقلال والسلام) .

وأرسلت اللجنة المركزية لاتحاد نقابات رومانيا ببرقية تأييد ، هذا نصها :

(إن عمال الجمهورية الشعبية الرومانية قد قابلوا بعميق الأسف الاعتداء المسلح من كل من فرنسا وانجلترا واسرائيل على وطنكم . فباسم أعضاء اللجنة المركزية لاتحاد عمال النقابات الرومانى ، تؤكد اللجنة لعمال جمهورية مصر وشعبها ، تأييدها بعزم وصلابة لدفاعهم عن استقلالهم وسيادتهم ، نحن نؤكد تماما أن العمال المصريين المؤيدون بالرأى العام العالمى ، وبمحبى السلام فى جميع أنحاء الدنيا سيهزمون المعتدين الانجليز والفرنسيين الذين يحاولون أن يفرضوا على مصر الاستعمار والاستغلال) .

وعبر عمال المانيا عن تأييدهم لنضال شعبنا بهذه البرقية . (باسم خمسة مليون وأربعمائة الف عامل ، والشعب الألمانى الذى جن غضبا بالهجوم الاسرائيلى ، وبغزو الانجليز والفرنسيين للأراضى المصرية ، هذا الهجوم الذى بالتأكيد يتعارض تماما مع ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، والذى بكل تأكيد سيقابل بالرفض والمعارضة من جميع العمال فى كل انحاء العالم . فباسم عمال المانيا ، يهمنا أن نتضامن معكم فى كفاحكم) .

ورد عليهم أمين عام الاتحاد الدولى لنقابات عمـــال العرب ، بالبرقية التالية :

نقدم لكم شكرنا العميق على تأييدكم لنا فى كفاحنا ضد الهجوم الاسرائيلى الذى كان يؤيده الانجليز والفرنسيين على وطننا ، والذى تم بصورة

وحشية تتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة ، وأننا نؤكد لكم اننا سندافع عن وطننا ، حتى آخر رمق فينا . خوضوا معنا معركة الحرية والسلام ضد القوى المعتدية التى وضعت اسرائيل لتستعملها ضد استقلال شعوب منطقة الشرق الأوسط . إننا سننتصر ونستحق الاستمار وتجار الحروب بفضل تعاوننا مع عمال العالم) .

وأرسل الاتحاد الدولى لنقابات النسيج والملابس بميلانو . برقية تأييد إلى رئيس اتحاد عمال الغزل والنسيج بجمهورية مصر ، وهذا نصها :

(يعلن الاتحاد الدولى لنقابات النسيج والملابس ، تضامن خمسة ملايين من أعضائه مع عمال النسيج والشعب المصرى فى إدانة العدوان الاستعمارى على الأراضى المصرية ، وأن مقاومة الشعب المصرى وإرادة شعوب العالم كله ، كفيلة بإعادة السلام وضمان استقلال مصر) .

ورد عليه رئيس اتحاد عمال النسيج والغزل بالجمهورية المصرية بالبرقية التالية . (نشكركم على برقيتكم ، ونطلب منكم وقف هذه الأعمال البربرية . وأننا ننتظر مساعداتكم القوية ، الحالة الحاضرة تدعو إلى تدخلكم ، ونحن سنحارب حتى النهاية) . رئيس الاتحاد احمد فهيم .

وهكذا ، وقفت الطبقة العاملة فى العالم بأجمعه ، فى وحدة رائعة بجانب كفاح شعبنا للدفاع عن سيادته ، ولرد عدوان المعتدين على أراضينا .

وهكذا انتصرنا بفضل تأييد شعوب العالم لنا .

خاتمـــــة

بوحدة الشعب . . سنسحق المستعمرين

هذه العجالة السريعة لكفاح الطبقة العاملة ودورها فى المعركة إلى جانب دور الشعب والجيش والحكومة تشير إلى واقع جديد وقوة جديدة برزتا فى معركة حرب التحرير لطرد الغزاة من أرض الوطن .

هذا الواقع هو . . . الوعى الجديد . . . هو الشعور بالمسئولية نحو حماية مصر واستقلالها وتأكيد سيادتها . . . على أراضيها ، على ثرواتها الطبيعية ، على خيراتها . . . هو المشاركة الإيجابية فى معركة الحرب لصد الغزاة وهزيمتهم . . . هو العمل المتواصل وزيادة الأعباء فى المصانع والمزارع وكافة المرافق العامة لزيادة الانتاج . . . هو التضامن الأخوى مع جميع أفراد الشعب ومع الجيش والبوليس وكافة الهيئات ، والالتفاف حول حكومتنا الوطنية لتأكيد الوحدة الوطنية التى هى دعامة النصر على العدو .

وهذه القوة الجديدة ، هى قوة للطبقة العاملة المنظمة فى نقاباتها واتحاداتها . . . . . هذه القوة التى أفسحت لها مجالا فى مجتمعنا الحر ، وقفت عمالقة تبنى بفخار مع جميع القوات الوطنية صرح الحرية والاستقلال والسلام .

إن انتصارنا على العدو ، قد تم بفضل هذا الوعى الجديد ، وبفضل هذه القوة الجديدة ، وبفضل التضامن الدولى للطبقة العاملة ، وبفضل يقظة الشعوب ووقوفها بجانب شعبنا وطبقتنا العاملة ، بفضل كل هذا انتصرنا فى الجولة الأولى على العدو .

وهنا ، يبرز أمامنا التساؤل التالى : —

هل المعركة انتهت ؟ ؟

لا لم تنته المعركة بعد ، . . . فالاستعمار ، هو الاستعمار ، ولن يكون شيئاً غير هذا . . .

فالمستعمرون يضمدون جراحهم ، ويجمعون أشلاءهم ، وجيوشهم المنهزمة ، ليبدأوا الجولة الثانية ، لقد قامت أمريكا بدور الطبيب الاستعمارى . . . فسارعت ، أثر وقف إطلاق النار ، بمد يد المساعدة إلى انجلترا وفرنسا ، فاعتمدت لهم المساعدات الإقتصادية ، وشحنت لهم البترول وعبئت مواردها لخدمتهم ، وكأن نجلترا وفرنسا هما المعتدى عليهما من مصر ، أما مصر ، التى نشر المستعمرون فى أراضيها الخراب ، وأشعلو فى مدنها الحرائق ، وقتلوا فيها النساء والأطفال ، ودمروا المدن الآهلة بالسكان . مصر هذه ، لاتستحقق شيئاً فى نظر الاستعماريين ، لا تستحق أى تعويضات عما أصابها من الخراب والدمار ، فاذا أردنا إن نبنى المنازل التى تهدمت ، وأن نقيم المصانع التى تفى بحاجتنا ، فلن نجد من يعطينا أداة البناء . وإذا أراد المستعمرون هدم حضارتنا ، وهدم استقلالنا ، ونهب خيراتنا ، وجدوا كل المعونة ، وإذا فشلوا فى المحاولة الأولى وجدوا ألوف المليارات من الدولارات وعشرات السفن تحمل إليهم المؤن وآلات الحرب ليعاودوا المحاولة مرة ثانية .

أن طبيعتهم الاستعمارية تغلب عليهم . . . فلم تمض أياما على هزيمة قوات المعتدين . . . ولم تمض أياما على استنكار العالم بأسره لسياسة العدوان على استقلال الشعوب ، ولم تنزل الدماء التى سفكها المعتدون فى بور سعيد ساخنة لم تجف . وفى الأيام الأولى بعد وقف إطلاق النار ، وسحب قوات المعتدين ، يصيح الجنرال أيزنهاور . أن الشرق الأوسط فى خطر . . . أن المصالح الأمريكية مهددة فى هذه المنطقة . . ولابد من سلطات استثنائية لاستخدام القوات العسكرية الأمريكية لتأمين سلامة البترول فى هذه المنطقة . . . لقد انتصر الشعب المصرى ، وأمم القنال وأعيدت إليه خيراتها . إن أمريكا تخشى أن يذهب البترول لأصحابه من سكان هذه المنطقة كما ذهبت خيرات القنال لشعب مصر .

لذلك ، يهدف المشروع إلى إقامة حكومات بترولية ، أى حكومات

موالية المغرب ، تحرس المصالح الأمريكية والمصالح الاستعمارية من شعوب الشرق الأوسط . وتعتمد فى سياستها على تأييد القوات الأمريكية المصلحة والسلطات الاستثنائية للجنرال أيزنهاور ، والدولار الامريكى الذى تحمله البوارج وحاملات الطائرات والغواصات الأمريكية وجنود البراشوت إلى هذه الحكومات .

إن هذا المشروع يريد أن يحقق ما فشل فيه الغزاة من الانجليز والفرنسيين وربيبتهم إسرائيل .

أن هذا المشروع يحرض العناصر الموتورة من عملاء المستعمرين للعبث بأمن وسلامة هذه البلاد مستندين إلى القوة العسكرية الأمريكية التى على أهبة الإستعداد للتدخل المسلح عندما تنشط هذه العناصر .

أنه اعتداء صريح على حرية بلادنا ، وعلى استقلال شعوب منطقة الشرق الأوسط .

إن ايزنهاور يريد أن يسير بقافلة الاستعمار إلى الشرق . . . إلى بلادنا . . . إلى مصر . . . إلى سوريا . . . إلى الأردن . . .

لقد ثبت من المعركة أن الشعوب أقوى من المؤتمرات ، أقوى من الغزو ، لقد فشلت جميع خططهم فى الجولة الأولى . . . لقد تحطمت قواعدهم . . . وهاهو نورى السعيد يلاقى جزاءه على يد شعبه الثائر فى العراق . . . وها هى الشعوب الثائرة متضامنة مع حكوماتها الوطنية تقف ضد مؤامرات الجواسيس فى الأردن وسوريا .

لقد أراد ايزنهاور بمشروعه أن يحمى هذه القواعد المنهارة ، وفى تل أبيب ، وفى أنقرة ليحقق الأرض الصالحة لتدبير المؤامرات ضد شعوب المنطقة . . إن ايزنهاور جاء أصرح من إيدن وموليه ، فأعلن صراحة أن القوة العسكرية الأمريكية ضرورية للتدخل وحماية عملاء الغرب .

لقد أعلن المستعمرون بدء الجولة الثانية ضد الشعوب المتحررة

وحكوماتها الوطنية ، ولذلك ، فان المعركة لم تنته . . . ولن نتركهم يفلتون من الحساب ، سنجبرهم على دفع التعويضات المناسبة عما اقترفوه من جرائم ، سنطالب بمحاكمة المسئولين عن هذا العدوان ، سنقول لايزنهاور أن أعدائنا هم الذين أحرقوا مدننا ، وقتلوا نساءنا وأطفالنا ، ودمروا إقتصادنا ، ونشروا الخراب فى أرضنا ، وليس لنا أعداء غير هؤلاء .

وبفضل يقظتنا ووعينا الوطنى ، وبفضل وحدة شعبنا والتفافه أكثر فأكثر حول حكومتنا الوطنية ، حكومة الرئيس جمال عبد الناصر رمز إستقلالنا ، ورمز إنتصارنا ، ورمز حريتنا . . . وبفضل تضامن العمال العرب ، والشعوب العربية ، وبفضل مؤازرة الشعوب لنا ، وبفضل تأييد الحكومات المحبة للسلام لعدالة قضيتنا . بفضل كل هذا ، سننتصر فى الجولة الثانية ، فلن ندع قافلة الاستعمار تسير . . . لن ندعها تدخل بلادنا . . سنقف فى طريقها . . . وليقولوا مايشاؤون . . . إن أرضنا ستظل لنا . . إن قناتنا ستظل لنا . . إن بترولنا سيظل لنا . . إن حريتنا ستظل لنا . . إن إستقلالنا وسيادتنا على أراضينا سيستمران مدى الحياة .

ولسنا ندرى ماذا يقصد الجنرال . . بالمحافظة على إستقلال بلاد الشرق الأوسط . . أهو إستقلال مصر . . أهو إستقلال سوريا . . أم هو إستقلال الأردن . . أم إستقلال العراق وتركيا وإسرائيل ؟

وماذا يقصد بالعدوان . . أهو الاعتداء الشيوعى المزعوم كما يزعم . .

أم أن عدوان انجلترا وفرنسا وإسرائيل على إستقلال مصر وسوريا والأردن لايعتبر عدوانا ؟

لا غرابة إذن فى موقف الجنرال ، وما يهدف إليه مشروعه إذا علمنا أن ملوك البترول يقفون وراء هذا المشروع .

أننا سنقول لايزنهاور ، لن تكون أكثر حظاً من أتباعك إيدن ومموليه ، يوم تقع الواقعة .

والنصر لنا

والموت للمستعمرين

والعزة للشعوب العربية